وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم:التاريخ و الآثار

LARBI TEBESSI – TEBESSAUNIVERSITY

UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA-

الميدان: علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة:العلوم الانسانية

التخصص: تاريخ معاصر

العنوان:

العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن 18 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر " ل.م.د"

دفعة : 2018

إعداد الطلبة :

- آية بولبة
- نجاة مراحي

إشراف الأستاذ :

العابد زكرياء

جامعة العربي التبسي - تبسة
Universite Larbi Tebessi - Tebessa

لجنة المناقشة		
الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
سليمان برابح	أستاذ مساعد – أ–	رئيسا
العابد زكرياء	أستاذ مساعد – أ–	مشرفا و مقررا
وابل بختة	أستاذ مساعد – أ–	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية:2017 _ 2018

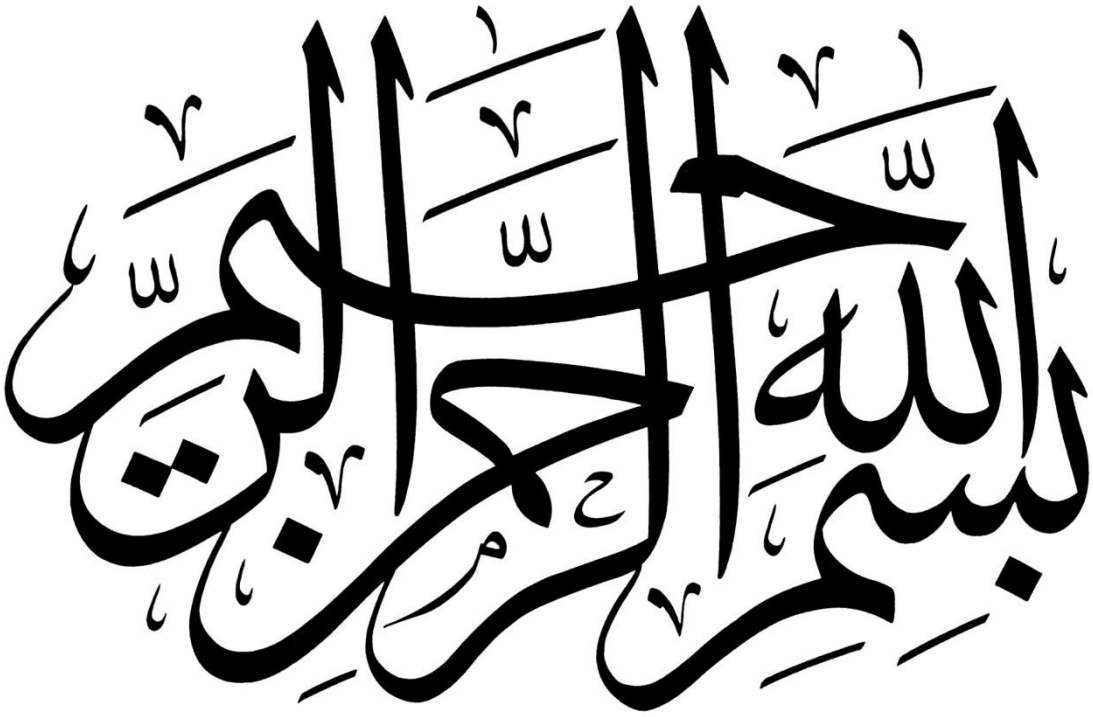
بسم الله الرحمن الرحيم

وقل
رب زدني علما

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

تعهد

أنا الموقع أسفله الطالب (ة): آية مولاية

المُعد(ة) للمذكرة المعنونة بـ:

العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن التاسع عشر

والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: تاريخ معاصر

وبعد اطلاعي على القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 والذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها لا سيما المادة 03، المادة 07، المادة 19، المادة 35 منه:

أتعهد بتحمل المسؤولية العلمية والقانونية حول هذا العمل كما أشهد بخلوه من كل انتحال لأعمال الغير، اقتباس غير منسوب لصاحبه، ترجمة دون ذكر المصدر، وضع أشكال بيانية أو خرائط أو صور دون الإشارة إلى المصدر، أو ذكر أسماء محكمين دون علمهم أو موافقتهم أو مشاركتهم. وعليه أمضي هذا التعهد.

جامعة تبسة في: 2018/ماي/29

توقيع الطالب

2018 ماي 29

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

تعهد

أنا الموقع أسفله الطالب (ة): حياة مراعي

المُعد(ة) للمذكرة المعنونة بـ:

العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن الثامن عشر

والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: تاريخ معاصر

وبعد اطلاعي على القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 والذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها لا سيما المادة 03، المادة 07، المادة 19، المادة 35 منه:

أتعهد بتحمل المسؤولية العلمية والقانونية حول هذا العمل كما أشهد بخلوه من كل انتحال لأعمال الغير، اقتباس غير منسوب لصاحبه، ترجمة دون ذكر المصدر، وضع أشكال بيانية أو خرائط أو صور دون الإشارة إلى المصدر، أو ذكر أسماء محكمين دون علمهم أو موافقتهم أو مشاركتهم، وعليه أمضي هذا التعهد.

جامعة تبسة في: 2021/04/29

توقيع الطالب

شكـــر وعرفـــان

﴿ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والداي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾

فالشكر لله وحده على فضله وإحسانه وإلى الأستاذ المشرف المحترم " العابد زكريا" لآرائه السديدة واهتماماته البالغة وتوجيهاته المفيدة ونصائحه القيمة في إثراء هذا العمل وتزويده لنا بمختلف المصادر والمراجع المستحقة وتذليله العقبات والصعاب. نشكر جميع من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة ونخص بالذكر الأستاذ "بلغيث شكري" الذي زودنا بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا العمل. وإلى جميع أساتذتنا الأفاضل

"كن عالما... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

الذي نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن الحوت في البحر، والطير في السماء ليصلون على معلم الناس الخير"

إنني أتوجه بخاص الشكر إلى من علمنا التفاؤل والمضي إلى الأمام إلى من رعانا وحافظ علينا.

نسأل الله أن يوفقنا في المزيد من الأعمال ويهدينا مفاتيح العلم الصحيح، وييسر لنا سبيل الهدى ويجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم وأن يهب لنا من فيض نوره نورا، وينير طريقنا إلى الخير والصلاح والنجاح والفلاح، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس:

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الفهرس	
قائمة المختصرات	
مقدمة.....	أ–د
المدخل.....	**6**
الفصل الأول: الجذور التاريخية الجزائرية التونسية (1518–1700)	
– الوجود العثماني في الجزائر وتونس.....	16
– الأوضاع العامة بالجزائر.....	19
– الأوضاع العامة بتونس.....	29
– طبيعة العلاقات الجزائر وتونس.....	34
الفصل الثاني: العلاقات السياسية والعسكرية بين تونس والجزائر خلال القرن 18م	
– طبيعة العلاقات الجزائر وتونس مع مطلع القرن 18م.....	39
– التدخل الجزائري في الشؤون الداخلية لتونس.....	49
– أبرز المعارك خلال القرن 18م.....	53
موقف الدولة العثمانية من الصراع بين الجزائر و تونس	60
الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال القرن 18م	
– العلاقات الاقتصادية.....	64
– العلاقات الاجتماعية.....	80
– العلاقات الثقافية والدينية.....	87
الخاتمة.....	**97**
الملاحق.....	**100**
قائمة المصادر و المراجع	**106**

قائمة المختصرات:

قائمة المختصرات:

A : Année.

Ibid. : نفسه

Op.cit : المرجع السابق

P : Page.

T : Tome.

VOL : Volume.

ت: توفي.

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تع: تعريب.

تق: تقديم.

ج: جزء.

د ت ط: دون تاريخ الطبع.

د ط: دون طبعة.

س ج: السنة الجامعية.

س: سنة

ص: صفحة.

ط: طبعة.

ع: عدد.

مج: مجلد.

مخ: مخطوط.

مر: مراجعة.

و: ورقة.

مقدمة

التعريف بالموضوع:

تشابكت آراء المؤرخين حول إيالتي الجزائر وتونس بعد انضمامهما لدولة الخلافة العثمانية حيث كانت تونس تتبع الجزائر في بادئ الأمر لكنها انفصلت لوحدها بعد مرحلة البايلر بايات وذلك فيما يخص العلاقة التي كانت تربط بينهما حيث اتسمت أحيانا بحروب دامية وأحيانا أخرى توطدت في إطار التعاون العسكري مع الدولة العثمانية، كما تنوعت الدراسات واختلفت مما جعل الباحث يجد نفسه أمام عدة مصادر ومراجع مختلفة في محتواها عن أبعاد العلاقة بين الإيالتين، ومن بين المواضيع الهامة التي تطرقت إليها دراستنا هي العلاقات التي ربطت بين الإيالتين الجزائر وتونس خلال القرن 18م، حيث تجسدت في علاقات سياسية وعسكرية أحيانا سلمية وأحيانا أخرى عدائية ومتوترة كالمناوشات الكلامية بين الحكام والنزاعات على المناطق الحدودية بسبب القبائل القاطنة على الشريط الحدودي، وكذلك تباطؤ بايات تونس في دفع الإتاوة للجزائر أما العلاقات السلمية والإيجابية بينهما فقد تمثلت في التعاون العسكري بين الإيالتين ضد الحملات الصليبية على المغرب العربي، كما جمعت بينهما العديد من الروابط الثقافية والاجتماعية بالإضافة إلى المبادلات التجارية بينهما.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في تطرقنا إلى ماضي الإيالتين من خلال التعرف على بداية الدخول العثماني إلى الإيالتين، والعلاقة التي كانت تربطهما، زيادة على ذلك خبايا وتاريخ هذه الفترة الذي جعل أوضاع الإيالتين تتسم بالسلم أحيانا وبالحرب أحيانا أخرى.

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيارنا لموضوع العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن 18م إلى أسباب ذاتية وموضوعية وهي ميولنا الشخصي للتعرف على طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين الإيالتين خلال هذه الفترة، وكذلك تحري الأسباب والعوامل التي كانت وراء توتر العلاقات بين الإيالتين واتسامها بالعداء تارة وبالود تارة أخرى، وكذلك تسليط الضوء على جوانب العلاقات بين الإيالتين وأبرز مظاهرها.

ويعتبر هذا البحث دراسة شاملة لتاريخ الإيالتين في تلك الحقبة الزمنية التي كانت تمثل العهد الذهبي بالنسبة للجزائر أما بالنسبة لتونس فكانت تمثل فترة حكم الأسرة الحسينية.

الإشكالية:

كيف اتسمت العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن 18م؟ وما هي طبيعتها؟ وما هي مختلف الروابط التي كانت تربط بينهما؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- فيما تمثلت أسباب الدخول العثماني للمغرب العربي؟
- كيف كانت العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيالتين؟
- ما هي طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الإيالتين؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة وفق الخطة التي تحتوي على مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة.

الخطة :

المدخل: تطرقنا فيه إلى بداية الوجود العثماني في الجزائر وتونس.

وبالنسبة للفصل الأول تحت عنوان: الجذور التاريخية للعلاقات الجزائرية التونسية (1518-1700) حاولنا فيه إبراز الوجود العثماني في كل من الجزائر وتونس، إضافة إلى الأوضاع العامة بالجزائر وتونس، إضافة إلى طبيعة العلاقات الجزائرية التونسية (1518-1700).

أما الفصل الثاني جاء بعنوان: العلاقات السياسية العسكرية بين تونس والجزائر خلال القرن 18م. فقد وضحنا من خلاله طبيعة العلاقات الجزائرية التونسية مع مطلع القرن 18م والتدخل الجزائري في الشؤون الداخلية لتونس، وأبرز المعارك بين الإيالتين خلال القرن 18م، ثم موقف الدولة العثمانية من الصراع بين الجزائر وتونس.

أما فيما يخص الفصل الثالث جاء بعنوان: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال القرن 18م. أبرزنا من خلاله مدى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بين الجزائر وتونس.

المنـهج:

وللإلمام بكافة جوانب الموضوع اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي في كافة جوانب الموضوع، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في الفصل الأول لتحليل بعض الأحداث التاريخية كي يسهل على القارئ استيعاب الموضوع، كما اعتمدنا على المنهج المقارن في الفصل الثاني والثالث من خلال مقارنة الأوضاع في الجزائر وتونس.

اعتمدنا في دراسة موضوع العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن 18م على مجموعة من المصادر والمراجع باللغة العربية والأجنبية نذكر أهمها:

– تاريخ قسنطينة لصالح العنتري حيث نجد أنه مصدرا مهما اعتمدنا عليه في جميع الفصول.

– وكذلك كتاب: إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس في عهد الأمان لابن أبي الضياف، حيث شمل هذا المصدر تاريخ تونس بالتفصيل في جزئيه الثاني والثالث، وقد تمت الاستفادة منه في الحصول على معلومات تخص أوضاع تونس خلال الحقبة المدروسة.

أما المصادر الأجنبية المعتمدة أهمها: تاريخ تونس والجزائر في القرن 18 " Tunis et Alger au XVIII^{e} siècle" لـ: فونتير دي بارادي Venture de paradis ويعرض هذا الكتاب ما شاهده الكاتب بحكم أنه زار الجزائر وتونس، كما اعتمدنا في ذكر بعض الحروب التي حدثت بين الإيالتين.

كما استقينا مادة الموضوع من مجموعة مراجع منها:

– تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، الذي يعد موسوعة ثقافية رصد خلالها المؤلف جوانب عديدة من الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.

– وأيضا كتاب علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي لـ أحميدة عميراوي.

– وكذلك النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800–1830م) لـ: ناصر الدين سعيدوني.

هذا بالإضافة إلى اعتمادنا على بعض المجلات أبرزها: جون وولف: رياس البحر مجلة الدراسات التاريخية ترجمة: أبو قاسم سعد الله، جامعة الجزائر، العدد3، 1987.

ومن بين العراقيل التي واجهتنا أثناء إعدادنا لهذه الدراسة:

– ضرورة البحث عن المصادر التي تعتبر قليلة في مكتباتنا.
– صعوبة الحصول على بعض الكتب والمؤلفات التونسية.
– ندرة المعلومات المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

المدخل

مع بداية القرن 16م، ظهرت قوة كبيرة المتمثلة في الدولة العثمانية الإسلامية العظمى، التي كان مركزها القسطنطينية شرق البحر المتوسط حيث سارعت هذه الأخيرة في تكوين ترسانة عسكرية كبيرة وأسطول بحري قوي، ومن ثم اتجهت في مد نفوذها عبر العالم أجمع، اتجهت نحو آسيا الصغرى وأوروبا، وقامت بفتوحات في الأراضي العربية حيث استطاعت أن تقضي على الصوفيين في **معركة جاليدران** في 23 أوت 1514،[1]كما اصطدمت بالمماليك في كل من مصر والشام والحجاز حيث حصلت **موقعة مارج دابق** في 24 أوت 1516م بضواحي حلب وكذلك **موقعة الريدانية**[2] في حدود المصرية 22 نوفمبر 1517، انتصر فيها العثمانيون وتوجوا بالحكم في هاته الأراضي كما اتجهوا ناحية شمال البحر المتوسط، رغبة منهم في فرض السيطرة كامل أراضي وسواحل وجزر البحر المتوسط، عرفت هذه الحروب بحروب الجهاد البحري ضد القوى الصليبية المسيحية المتواجدة في شمال إفريقيا، خاصة بعد استنجاد الأهالي بهم، ومن هنا بدأ الدخول الرسمي للدولة العثمانية في شمال إفريقيا عامة، وبداية أولى العلاقات الجزائرية العثمانية.[3]

(1)–وقعت **معركة جاليران** بين العثمانيين والشيعة الصوفيين حيث التقى الجيشان في وادي جالديران وانتهت المعركة بهزيمة إسماعيل الصفوي هزيمة نكراء، وفراره من أرض المعركة إلى داخل مصر، ووقوع كثير من قواده في الأسر وفي 14 من شهر رجب 920هـ دخل السلطان سليم الأول تبريز حاضرة الصفويين وفر الشاه إسماعيل الصفوي إلى أذربيجان، وبهذا النصر فتح السلطان سليم الأول كثيرا من بلاد أرمينية الغربية، وبلاد ما بين النهرين، وتبليس وديار بكر والرقة والموصل ثم عاد إلى بلاده. ينظر: رونالدوليز: **إيران ماضيها وحاضرها**، تر: عبد النعيم محمد حسين، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1985، ص101.

(2)–انتصر فيها السلطان العثماني سليم الأول على السلطان طوسان باي آخر سلاطين دولة المماليك الشراكية في معركة الويدانية واحتل العثمانيون القاهرة، وقبضوا على طومان باي، وقد أعدم على باب زويلة وكان طومان باي قد حارب سليم قرب المطرية بجوار مسلة عين شمس وكان قد عرض سليم عليه حكم مصر تحت الحكم العثماني ورفض، ودارت معركة عند الأهرامات بيومين، وهرب طومان باي ولجأ للبدو لكنهم باعوه حيث قادوه لسليم بالسلاسل واقتيد من بولاق بباب زويلة حيث أعدم. ينظر: عبد العزيز سليمان، **الشعوب الإسلامية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص52.

(3)–محمد فريك بك: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1983، ص64.

حيث وقعت العديد من الحروب والمناوشات البحرية منها والبرية التي قادها الأسطول البحري بقيادة عروج **وخير الدين**،[1] ضد المماليك المسيحية الإسبانية التي سيطرت على سواحل شمال إفريقيا وسميت بحروب الاسترداد،[2] فقد كانت السفن العثمانية تجوب البحر المتوسط بقيادة بحارة عثمانيين. الأخوين عروج وخير الدين لعبوا دورا فعالا ومهما في ربط شمال إفريقيا بالدولة العثمانية، وقد اشتهر هؤلاء البحارة بالعديد من انتصاراتهم البحرية، على المسيحيين والقراصنة الأوروبيين وخوضهم معارك طاحنة ضد الإسبان وانتصروا عليهم.[3]

بدأ البحارة العثمانيون نشاطهم في البحر المتوسط بكثافة أدى بهم إلى بحث كان قاعدة بحرية ثابتة، تكون نقطة انطلاق حملاتهم البحرية ضد الغزاة الأوروبيين وما كان لهم إلا طلب المساعدة من السلطان الحفصي أبو عبد الله بن الحسن لمساعدتهم وتمويلهم بالعتاد والسفن وتوفير ميناء مخصص لانطلاق سفنهم وإرسائها،[4] وقد كانت هذه الأعمال متزامنة مع تهديدات سواحل الجزائر حيث تمكن الإسبان من إسقاط المرسى الكبير واحتلوا وهران سنة 1509م، وتمكنوا من إخضاع بجاية وعنابة سنة 1510.[5]

(1)--**خير الدين بربروس** : (1470-1546) كان قائد أساطيل عثمانية وفي هذا بحريا، ولد في جزيرة ليسوس (في اليونان المعاصرة)، وتوفي في الأستانة (إسطنبول)، اسمه الأصلي هو خضر بن يعقوب ولقبه خير الدين باشا، بينما عرف لدى الأوروبيين بباربروس (أي ذو اللحية الحمراء). ينظر:شوقي عطاالله الجمل :**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر، المغرب)**،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،1977،ص97

(2)-ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان وأخبار تونس في عهد الأمان**، تونس، ج2، الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط2، د.ت، ص121.

(3)- Mercil, **histoire de l'Afrique septentrional** 3 VOL, Paris, 1891, P56-60.

(4)-شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، تونس، ج2، الدار التونسية للنشر، 1983، ص326.

(5)-أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1983، ص103.

بل امتدت سيطرتهم على كل مدن الساحلية الجزائرية تقريبا،[1] ونظرا لقوة وسيطرة العثمانيين والأسطول البحري وانتصاره في العديد من معاركه ومواجهته ضد الإسبان في البحر المتوسط، استنجد وطلب أهالي بجاية من البحارة العثمانيين **الأخوين بربروس**[2] مساعدتهم ونجدتهم من الإسبان، حيث قام علماء وأعيان مدينة بجاية بإرسال رسالة إلى قائد الأسطول البحري عروج مطالبين فيها بإنقاذ المدينة وتحريرها من الإسبان،[3] وقد لب الأسطول العثماني النداء واتجه إلى بجاية بجيش بحري كان تعداده حوالي اثنين قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة وألف جندي تركي وبعض الأهالي وقد بدأ الهجوم برا، ثم وضع حصارا شديدا على المدينة دام ثمانية أيام إلا إصابة قائد الأسطول البحري حالت دون اقتحام المدينة وتحريرها، فعاد الأسطول بعد هاته الهزيمة إلى تونس،[4] لكن أعيدت الكرة نحو جيجل[5] لا بجاية وقد تم تحريرها بسهولة بمساعدة سكانها سنة 1514.[6]

(1)-أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص104.

(2)-**الإخوة بروس**: هم أربعة على الترتيب من الأكبر إلى الأصغر: إسحاق، عروج (أوروتش وهو النطق السليم له[1472-1518] الخضر (خير الدين [1483-1546م]) وإلياس، معروفون باسم أسماء يعقوب، ينحدرون من الأب يعقوب وأم رومية يونانية من جزيرة ميدلي باليونان، وبالضبط من منطقة واردار المجاورة لسلانيك التي استقر بها بعض الصبابحية، العثمانيين ومنهم يعقوب بعد فتحها من طرف السلطان محمد الفاتح. انظر: خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، دار الأصالة، الجزائر، 2010، ص50.

(3)-ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص10.

(4)- Diego De Heedo, **histoire des rois d'Alger**, HD Edition grand, Alger, livres, P14.

(5)-كانت جيجل مركز تجاري واقتصادي احتلها قراصنة جنوة 1260م، هاجمها أندري دريا وأقام بها محمية عسكرية تابعة لمدينة جنوة، تم تحريرها من طرف عروج سنة 1514، وأصبحت مركزا عسكريا لملياني العسكرية البحرية. ينظر: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص12.

(6)-ابن أبي الضياف: المصدر نفسه، ص13.

ومن ثم انطلقت حملة أخرى نحو بجاية بمساعدة أهالي جيجل وأصبحت مدينة جيجل قاعدة عسكرية للأسطول البحري بدل تونس، وهذا الشيء مهد الطريق لتطوير العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر والسلطة العثمانية،[1] وبدأت إذن حملة ثانية على مدينة بجاية في شهر أوت سنة 1514، تولى فيها القائد البحري عروج قصف المدينة بالمدفعية من جهة البحر، بينما تولى خلفاؤه من مدينة جيجل الهجوم بريا حيث تمكنوا من السيطرة على أحد قلاعها دون تمكنهم من دخول المدينة، بسبب الدعم الذي تلقاه الإسبان، وبنفاذ ذخيرة الأسطول البحري أجبر على طلب العون من السلطان الحفصي مولاي محمد، لكنه لم يلبي نداء النجدة ورفض تزويد الأسطول بما يحتاجه من الإمدادات اللازمة،[2] خوفا من تعاظم قوة هذا الأسطول مع تزايد شهرته بين الأهالي في شمال إفريقيا وخاصة في تونس مما اضطر البحرية العثمانية إلى العودة إلى جيجل، إن هاته الحملات التي استهدفت مدينة بجاية شجعت سكان مدينة الجزائر على طلب المساعدة من الأسطول العثماني ضد الإسبان أيضا.[3]

(1)–ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص16.

(2)–حسن دردور: **عنابة، الجزائر**، د.ط، الشركة للنشر والتوزيع، د.م.ن، 1983، ص21.

(3)–ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص16.

الذين كانوا يتحكمون في مداخل ومخارج المدينة ويعرقلون نشاطها حيث أرسلوا إلى قائد الأسطول البحري نصا كتابيا طلب للمساعدة فقبل هذه الدعوة واعتبرها فرصة ذهبية وذريعة للدخول إلى مدينة الجزائر،[1] جهزت حملة عسكرية كبيرة لتحرير مدينة الجزائر كان قوامها حوالي 16 سفينة مجهزة بالذخيرة والمدفعية، أرسل معها نصف الجنوب واتجه النصف الآخر من جهة البر وقدر عدد الجيش 800 جندي تقريبا، وقد استقبلهم سكان مدينة الجزائر استقبال الفاتحين، اعتبر إسبانيا تواجد العثمانيين واستفحالهم بالمنطقة تهديدا كبيرا لمخططاتها الاستعمارية للمغرب الإسلامي، وقد جهزت للقضاء عليهم حملة كبيرة قوامها 320 سفينة و15 ألف عسكري، لكن هاته الحملة باءت بالفشل الذريع والهزيمة الساحقة على يد الأتراك حيث فقد الإسبان خلال 3 آلاف قتيل وأسر منهم 400 كم تحطمت نصف سفنهم بسبب هيجان البحر.[2]

وقد أثر هذا الانتصار العظيم على أهالي وسكان الجزائر مما أدى إلى توسع رقعة السيطرة العثمانية حيث سارع كل من مدينة المدية والبليدة، مليانة والأرياف والقبائل المحاذية لها إلى إعلان ولائهم للقائد العثماني وبذلك صارت إمارة الجزائر ذات شأن عظيم.[3]

(1)-أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص460.

(2)-صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)**، ط2، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص47.

(3)-يحي بوعزيز: **المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1748م-1780م)**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص18.

وبعدها استطاعت القوات العثمانية إخضاع **مدينة تنس**[1] وقتال أميرها الذي كان مواليا للإسبان وطردهم منها، واستطاعوا السيطرة على **تلمسان**،[2] بطلب من أهلها المساعدة ضد ملكهم الموالي للإسبان وقضى الأسطول البحري العثماني عليه وعلى أنصاره.

كانت رغبة الإسبان شدة في الحد من التوسع العثماني وهذا ما جعلها تخلق الفتن والخيانة في أوساط ومناطق الحكم العثماني وصارت الأخطار تهدده من كل جانب وكان هناك أعداء كثيرون هم الإسبان شمال والفتن والتفككات العسكرية داخلا وكذا الأطماع التونسية في السيطرة على السواحل الشرقية لمدينة الجزائر،[3] مما أدى إلى طلب خير الدين المساعدة وإعلان الموالاة للسلطان العثماني والاستنجاد به وأبدى أهالي مدينة الجزائر استعدادهم لطاعة السلطان العثماني وكانت الخلافة العثمانية هي الحليف المرشح والوحيد لمساعدة هذا الجيش.

واستجاب السلطان العثماني **سليم الأول**[4] للمراسلة التي بعض بها أهالي مدينة الجزائر.[5]

---

(1)-**تنس**: مدينة ساحلية تبعد غربا عن مدينة الجزائر بـ200 كلم. ينظر: مسعود الخوند: **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، د.ط، ج2، آسيا، ألبانيا، د.س، ص85.

(2)-**تلمسان**: تقع على مسافة 600 كلم إلى الغرب من الجزائر، قريبا من الحدود المغربية. ينظر: مسعود الخوند: المرجع السابق، ص90.

(3)-محمد بن عمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص229-230.

(4)-**سليم الأول** (1512-1520) استولى على السلطة بقعد الفتنة التي عصفت بحكم والده وإجباره على التنازل على العرش لابنه سليم، وقد أبدى سليم منذ بداية حكمه ميلا إلى سفك الدماء واستغل عهده بقتل عدد كبير من إخوته وقتل عدد كبير من رعاياه وأبدى حبه لخوض المعارك، وكان يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ وأقام عدة سنوات في طرابيزون وتحالف مع حكام القرم. ينظر: إبراهيم بك حليم: **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، ط1، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان، 1988، ص79.

(5)-علي محمد الصلابي: **الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط4، ج1، دار المعرفة، القاهرة، 2006، ص84.

حيث قام بإرسال أسطول بحري مدعوم بألفي جندي انكشاري وكمية كبيرة من الذخيرة والعتاد ودخلت على إثرها الجزائر مرحلة الحكم العثماني وتكون العلاقات الرسمية بين الجزائر والدولة العثمانية سنة 1519م.[1]

شهدت تونس الكثير من الأحداث أوائل القرن السادس عشر وتغيرات كانت كفيلة بإرجاع الكفة لصالح النفوذ العثماني، حيث ومنذ إقامة البحرية بتونس كانت بداية وتمجيد للفتح العثماني.[2]

وقد كان الموقع الاستراتيجي لمضيق صقلية في تونس مطمع كل من الأتراك والإسبان على حد سواء، حيث قام الأتراك بخلع السلطان العثماني مولاي الحسن من عرشه واستولوا عليه وصار كل من العمالق الإسباني والعثماني يتصارعان على الحكم التونسي في مقر دار الحفصي الذين نشبت بينهم حرب أهلية وذلك لأجل الظفر بكرسي الحكم، والخلافات التي نشبت في الداخل أدت إلى سيطرة العثمانيين على المنطقة التونسية وطرد السلطان الحفصي وأحكم قبضتهم نهائيا على تونس سنة 1557 وأصبحت البلاد التونسية بعدما احتلها الأتراك سنة 1574 كاملة بمثابة ولاية تابعة للدولة العثمانية يحكمها باشا يوليه الخليفة من إسطنبول لمدة معينة.[3]

(1)-محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، ط3، دار الفراس للنشر، تونس، 1993، ص65.

(2)-إسماعيل أحمد ياغي: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، د.ط، مكتبة العبيكات، د.س.ن، ص88.

(3)-محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص67.

الفصل الأول:

الجذور التاريخية للعلاقات الجزائرية التونسية (1518-1700)

1/ الوجود العثماني في الجزائر وتونس

2/ الأوضاع العامة في الجزائر

3/ الأوضاع العامة بتونس

4/ طبيعة العلاقات الجزائرية التونسية

اهتمت البحوث التاريخية في منطقة المغرب العربي خاصة الجزائر وتونس خوصصة، بالعلاقات التي كانت تربط الجزائر وتونس، إبان الخلافة العثمانية والعلاقة بين الإيالتين، بمختلف المظاهر التي تحتويها وعديد الخلافات التي مرت بها، المد والجزر بين السلم والحرب ومن أهم المشاكل التي أدت إلى نشوب بعض المناوشات، بين قادة الإيالتين الجزائرية والتونسية هي مشكل الحدود، حيث برز هذا المشكل في فترة التواجد العثماني، وكان جليا آثاره على العلاقات السياسية بين الإيالتين حيث تعتبر المناطق الحدودية، المتنازع عليها هي قسنطينة والكاف وتبسة، وقد حدثت في تلك الفترة بعض المواجهات العسكرية مثل هجوم الباي التونسي مراد بوابلة على قسنطينة 1700م، والمضايقات التي تعرضت إليها المنطقة سنة 1807م من قبل حمودة باشا، كما قام الطرف المقابل ببعض الاعتداءات على الإيالة التونسية خاصة منطقة الكاف سنة 1702م وتكرر ذلك سنة 1735م و1756م، مما اضطر حكام الإيالتين إلى الخضوع إلى طاولة الحوار وإبرام معاهدات، أشهرها اتفاقية واد سرات سنة 1628م والتي خرقها حكام الجزائر وقد تم تغيير بعض بنودها من طرف الباي حمودة باشا سنة1807 م

وقد لعب على مجرى العلاقات بين الإسالتين السياسية منها خاصة، قبائل الحدود والتي كانت لا تؤدي الضرائب المفروضة عليها، وكذا إعلان ولاءها لإحدى الإيالتين سببا آخر في نشوب النزاعات بين بايات تونس وبايات قسنطينة، مما أدى إلى خرق المعاهدات وبذلك حدوث المواجهات العسكرية بينهما، وما يفسر كثرة الحروب والخلافات بين الإيالتين هو استقلال الإيالتين عن الخلافة العثمانية التي كانت تحكم العالم الإسلامي آنذاك، حيث كان استقلال إيالة الجزائر مبكرا سنة 1700 وجاء استقلال الإيالة التونسية بعدها من حكم حمودة باشا، فلم تستطع الخلافة العثمانية تحقيق الصلح بينهما إلا في سنة 1824، ومن أسباب ذلك هو بعد مركز الخلافة العثمانية عن الإيالتين وبذلك يكون حتما عليها الاكتفاء

ببعث ممثلين عنها لتسوية الخلافات، بين الايالتين و محاولة الصلح بينهما، وربما لأنها كانت تعتبر تلك المناطق تابعة لها باسم الخلافة العثمانية لطريقة توليها الحكم في شمال إفريقيا حيث تم الاستنجاد بها إبان الغزو المسيحي للمنطقة ولأجل معرفة العلاقات بين الدولة العثمانية وتونس والجزائر يجب التحدث عن أسباب الوجود العثماني في المنطقة.

1/ الوجود العثماني في تونس والجزائر:

أ- في الجزائر:

جاء الأتراك إلى الجزائر تلبية لنداء النجدة الذي تلقته الدولة العثمانية أو بالأحرى الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط بقيادة الإخوة "بربروس" من قبل حكام الجزائر وقد وصلوا إلى الحوض المتوسط، وأضاقوا الأسطول الإسباني مر العذاب، ودمره في عدة ملاحم كبرى و امتدت ميدان الحرب من تلمسان إلى غاية البحر الأبيض المتوسط.[1]

وقد انتهت **الدولة الزيانية**[2] التي كانت تحكم الجزائر آنذاك حيث دخلت حماية الإسبان خشية السقوط تحت أيدي الأتراك لكن علماء تلمسان قاموا بخلع آخر أمراء بني زيان، وأعطوا الحكم نهائيا إلى أيدي الأتراك والعثمانيين الذين قادوا البلاد، وخلصوها من شر الإسبان، وأعلنت الجزائر إيالة تابعة للدولة العثمانية، حكامها البايلر بايات، حكمها **خير الدين**[3] بايلربك سنة 1517.[4]

(1)- أحمد توفيق المدني: **تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا**، دار المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص34.

(2)- **الدولة الزيانية:** قامت الدولة الزيانية في تلمسان سنة 1235، وتعرضت هذه الدولة بحكم وضعها لهجومات الحفصيين والمرنيتيين لغزوات القبائل من الجنوب، وأول حكام هذه الدولة (يغمراس بن زيان بن ثابت)، أنظر: شوقي عطا الله الجمل: **المغرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص33.

(3)- **خير الدين:** ولد عام 1470 بجزيرة مدلي من أب تركي وأم أندلسية، اسمه الأصلي الخضر بن يعقوب، كان قبطان للبحرية العثمانية، توفي سنة 1546. أنظر:

Digo de Haedo, abbe de fromesta, Histoire des rois d'Alger, tr par H-D de grammant, adolphe joudan, libraire, editeur Alger, 1881, P10.

(4)- محمد دراج: **تأسيس إيالة الجزائر**، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة، مخبر البحث التاريخي (مصادر ومراجع)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد 16، 2010، ص54.

وحسب وليان سبنسر فإن إخضاع الجزائر جاء في عهد السلطان سليم الأول الذي قدم مساعدات للإخوة بربروس من أجل العمل تحت الراية العثمانية سنة 1519،[1] إلا أن بعض الباحثين يرون أن الجزائر أصبحت إيالة عثمانية من خلال سفر خير الدين بربروس إلى الدولة العثمانية بدعوة من السلطان **سليمان القانوني**،[2] وبهذا تكون الدولة العثمانية قد أسست لنفسها دولة مترامية الأطراف كبيرة برقعتها الجغرافية، تمتد من الغرب إلى الشرق.[3]

ب- تونس:

يرجع التواجد العثماني في الأراضي التونسية إلى النزاع الذي قام من أجل كرسي الحكم، بعد وفاة حاكم الدولة الحفصية أبو يحي زكرياء الثاني سنة 1488،[4] وفي عام 1525 جهز الإسبان حملة بحرية نحو الجزائر، على رأسها الملك الإسباني شارل الخامس، هذه الحملة ستؤدي إلى تراجع قوات بربروس عن الجزائر وسقوط "بانون" من جديد بأيدي الإسبان، وانسحاب الأتراك نحو تونس حيث سيلحق بهم شارل الخامس وينتصر عليهم فتسقط تونس بيده،[5] وهذا ما أدى إلى تنامي أطماع الإسبان باحتلال الأراضي التونسية، واستغل كذلك العثمانيون هذا الصراع لضم تونس إلى الدولة العثمانية، ونشب صراع بين

(1)- وليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم الدكتور عبد القادر زبادية، دار الفضة للنشر، الجزائر، 2006، ص:83.

(2)- **سليمان القانوني**: [1520-1566] من أشهر السلاطين العثمانيين. تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام 1520 في عهده بلغت الدولة أوج قوتها واتساعها. اشتهر بالتسامح والعدالة وعمل على بناء أسطول قوي لمواجهة أعداء الإسلام. فتح جزيرة رودس سنة 1522. أنظر: إسماعيل أحمد باغي: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط2، مكتبة العبيكان، 1998، ص:62.

(3) Carette. Origine et migrations des principales tribus de l'Algérie. Imprimerie impériale, Paris, MDCCCL III. P:421.

(4)- مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ن، ص:250.

(5)- عاطف عيد: **قصة وتاريخ الحضارات العربية، تونس، الجزائر**، Edito-CNPS, INT 1998-1999، ص52.

الإسبان والعثمانيين حيث حصلت بين الدولتين عدة معارك، انتصر فيها في الأخير الوجود العثماني وأعلنت تونس إيالة عثمانية منذ تاريخ 1574.[1]

إلا أن الحفصيين قاموا بمحاولات لاستعادة الحكم، وقد تمكن في بادئ الأمر من الانتصار على القوات العثمانية، إلا أنه باء بالفشل في محاولته اقتحام العاصمة،[2] وقد أثر الجانب العسكري على الجانب السياسي في البلاد، وبهذا انتهى حكم الحفصيين الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، وقد وقعت في سنة 1581 محاولة لإعادة حكمهم إلى تونس، ولكن هيبتهم كانت قد ضاعت، فكانت هذه المحاولة شبه بسحابة صيف.[3]

وبدأت الأوضاع بين الدولة العثمانية وإسبانيا تهدأ، وذلك راجع إلى انصراف اهتمام الإسبان بالمغرب العربي وشؤونه، وكذا مواجهة حكومة مدريد مصاعب داخلية، واهتمامها بمستعمرة أمريكا التي تأسست حديثا ويمكن إجمال أسباب انسحاب الإسبان من تونس والجزائر والمغرب فيما يلي:

أولا: قيام المنازعات بين السلطتين العسكرية والمدنية حول إدارة تلك الجيوب

ثانيا: توقيع هدنة بين فيليب الثاني والباب العالي في سنة 1581.[4]

(1) E. Carette. Origine et migrations des principales tribus de l'Algérie. Imprimerie impériale, Paris, MDCCCL III. P:421.

(2)- مبارك بن محمد الميلي، ج2، مرجع سابق، ص25

(3)- صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص:28.

(4)- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص:24.

2/ الأوضاع العامة بالجزائر:

أ- الأوضاع السياسية:

إن الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها الجزائر العثمانية بدراسة وضعها الدولي الخاص ونظامها الحكومي وجهازها الإداري.

فمن ناحية الوضع الدولي للإيالة الجزائرية نجده متجاوبا مع سياسة الأتراك العامة اتجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم، والتي تتصف بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه الأقطار الخاضعة، مما يجعل الحكم التركي ظاهريا أكثر منه حقيقيا لا سيما في المناطق النائية، حيث يتضاءل تدخل السلطة المركزية لدرجة العدم.

وقد كان هذا الوضع الدولي بالإيالة الجزائرية يرجع في أساسه إلى تطور نظام الحكم التركي بالجزائر.[1]

شهدت الجزائر توالي أربعة مراحل حسب السلطة العليا التي كانت تمثله أولها مرحلة الباي لارباي «أمير الأمراء» (1518-1588). ابتدأت بحكم خير الدين بربروس وانتهت بمغادرة علج علي الجزائر عام 1587 لتبدأ مرحلة الباشوات[2] (1588-1659) الذين حددت فترة حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات، وتمتاز فترة الباشوات بكثرة الاضطرابات

(1)- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ن، ص:21.

(2)- **الباشا:** لقب تركي مشتق من الكلمة الفارسية (باد شاه) وتعني: الملك، الرئيس، السيد. وقد كان يمنح هذا اللقب للعسكريين في الدولة العثمانية والإيالات التابعة لها. أنظر: قتيبة الشهابي: **معجم أرباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الراشدي لها حتى بداية القرن 20**، د.ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1995، ص:40. تاريخ الاطلاع: جانفي 2018 www.al-mostafa.com

والفوضى أين انكب الولاة المعينين من طرف الأستانة على جمع الأموال[1] اما اثراء لأنفسهم أو من أجل تعويض ما صرفوه من أموال لشراء هذا المنصب[2] مما ساعد الآغوات، وهم قادة الجيش على الاستيلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس **الوجاق**[3] الذي يرأسه عادة أحد الآغوات، وبذلك ابتدأت المرحلة الثالثة مرحلة **الآغوات**[4] (1659-1671) القصيرة المملوءة بالفتن واغتيالات الحكام نتيجة عجز هؤلاء الآغوات عن توفير الاستقرار الداخلي والوقوف أمام قوة الرياس المتزايدة،[5] وزادت الأوضاع السياسية سوء أكثر مما كانت عليه بسبب تحديد فترة الحكم بشهرين مما لم يساعد على إقرار الأمن في البلاد وهذا ما أدى إلى تدخل الانكشارية من جديد بشكل أكثر في الشؤون السياسية كما جعل البعض يصفه بعهد الجمهورية العسكرية، وقد عرف هذا العهد نشوب سلسلة من الاغتيالات الدموية في حق حكام البلاد لتشبث هؤلاء بالسلطة وسعيهم لتمديدها.[6]

---

(1)- وصف ابن سحنون الراشدي حالة نهب أموال الخزينة من طرف حكام الإيالة وأثرها على البلاد بقوله: «وكانوا قبل ذلك يأتيهم الباشا من عند الخليفة من كل عام فإذا تمت السنة رجع إلى بلده ويحمل معه جميع ما في الخزينة من مال فاضل ذلك بالدولة لكونهم يحتاجون إلى إبقاء الأموال لديهم لمرتب الجند وتحصين البلاد وغير ذلك...». أنظر: ابن سحنون الراشدي: **الثغر الجهادي في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتق: المهدي بوعبدلي، د.ط، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص:442.

(2)- صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)**، ط3، دار هومة للنشر والطباعة، الجزائر، 2005، ص207.

(3)- **الأوجاق**: لقب تركي لأصناف ضد السلطة الذين تشكلت منهم القوات العثمانية البرية والبحرية، وعليه فكلمة أوجاقات أو أوردي تعني "الجيش العثماني". ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص:50.

(4)- **الآغوات**: جمع مفرده آغا، وهي كلمة تركية محرفة من أصلها الفارسي آغا أو آقا وهي بمعنى الأب أو العم أو الأخ وتأتي بمعنى السيد الآمر، استعملها الأتراك العثمانيون لدلالات كثيرة عبر تاريخهم الطويل، منها آغا الانكشارية الذي هو لقب أبرز رجال الدولة وبمثابة قائد الجيش. ينظر: مصطفي عبد الخطيب: المرجع السابق، ص:11.

(5)- يحي بوعزيز: **موجز تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 2007، ص:42-43.

(6)- عائشة غطاس: **الدولة الجزائرية الحديثة**، منشورات المركز الوطني والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص:54.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة لنظام الحكم التركي بالجزائر فهي مرحلة الدايات (1671-1830) الذي عرفت فيه البلاد خاصة في الفترة الثانية منه والتي تعرف بعهد الدايات البشاوات،[1] وحققت نوعا من الاستقرار من خلال تحسن أوضاعها إلى غاية بداية القرن التاسع عشر ففي عهد الدايات وضع الأتراك ديوانين: ديوان خاص وديوان عام، فالديوان الخاص هو المجلس التنفيذي للدولة يترأسه **الداي**[2] الذي ينتخب من قبل الأتراك لمدى الحياة، ويتمتع بحكم مطلق ويساعده في مهامه خمس موظفين سامين، من الأتراك بمثابة وزراء، وهم على التوالي الخزناجي وهو نائب الداي مكلف بالخزينة العمومية، وآغا الصبايحية وهو القائد العام للجيش[3] ووكيل الخرج وهو المسؤول على الورشات التي تبنى فيها السفن وتموين الأسطول بالأسلحة وصيانة الموانئ البحرية والحربية وتحصينها فهو بمثابة وزير البحرية، وخوجة الخيل مكلف بالجباية والمرافق العامة التابعة للدولة، وبيت المالجي الذي يسهر على تسيير بيت المال والعقود والمواريث.[4]

من بعدهم تأتي مرتبة الكتاب وهم أربعة يرأسهم الباش كاتب، يتولون مهام إدارية متنوعة من بينها تحرير الرسائل، وكذلك شيخ الإسلام مكلف بالعدل والشؤون الدينية ووكيل الخرج المكلف بالمؤونة الغذائية للسكان، وأخيرا رجال الأمن وقائد الفحص المكلف بتحصيل

(1)- ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر منطلقات وآفاق –مقاربة للواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، د.ط، عالم المعرفة، الجزائر، 2008، ص:170.

(2)- **الداي**: كلمة تركية معناها الخال، أطلقت في العهد العثماني على رتبة عسكرية حملها رؤساء الأجناد من الانكشارية الذين اشتركوا في تحرير شمال إفريقيا، ثم ما لبثت هذه الطائفة أن استحوذت عن السلطة الوالي العثماني في الجزائر. ينظر: مصطفى الخطيب: المرجع السابق، ص:175.

(3)- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني**، ط1، دار الكتاب العربي، د. م. ن، 2001، ص:40.

(4)- عمار عمورة : **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002، ص:104.

الضرائب، إلى جانب هذا يوجد ديوان عام وهو المجلس التشريعي يتكون من الموظفين السامين وكلهم من الأتراك.[1]

كانت الجزائر مقسمة إداريا إلى أربعة مقاطعات،[2] مدينة الجزائر وضواحيها المسماة بدار السلطان لأنها تابعة مباشرة للداي، وبايلك الشرق وعاصمتها قسنطينة وهي أكبرهم وأهمهم، وبايلك الغرب وكانت عاصمتها في البداية مزونة، ثم معسكر وعند جلاء القوات الإسبانية عام 1792م أصبحت وهران، وأخيرا بايلك التيطري وعاصمتها المدية وهي أصغرهم وعلى رأس كل واحدة منهم حاكم برتبة باي.[3]

ومنه فالدول الأوروبية تعاملت مع الجزائر ككيان مستقل عن الأستانة واعترفوا بسيادتها وسلطتها على ترابها وأراضيها.[4]

ب- الأوضاع الاقتصادية:

يمكن إبراز الخطوط العريضة لاقتصاد الجزائر العثمانية بالتعرض للنشاطات الاقتصادية الرئيسية بالبلاد عن زراعة وصناعة وتجارة. فالزراعة كانت هي المورد الرئيسي التي يؤمن معيشة غالبية السكان،[5] وعلى الرغم من أن السلطات المحلية لم تكن تعتني عناية كبرى بالشؤون الزراعية، فإن منتوجات الإيالة كانت تزيد عن حاجات السكان بالإضافة إلى أنها كانت تحظى بشهرة عالمية في ذلك الحين، ويعتبر الشرق الجزائري من أكبر المناطق المنتجة للقمح الصلب الكثير الدقيق، كما أن الجزائر كانت تنتج كميات من الأرز الرفيع

(1)- عمار عمورة : المرجع السابق، ص:105.

(2)- أنظر الملحق رقم: 01.

(3)- ناصر الدين سعيدوني :النظام المالي للجزائر ، المرجع السابق ،ص 29-30

(4)- جمال قنان : قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، د ط ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ،1994 ص : 39

(5)- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 31

تباع للأهالي بأثمان معقولة جدا، وأن ناحيتي مليانة ومعسكر تنتجان حوالي ستة آلاف صاع في كل سنة،[1] ومن جهة أخرى كان الجزائريون يقومون بزراعة الكتاب في جهات متعددة وهو من النوع الممتاز حتى أن الديوان كان يرسل منه هدايا إلى القسطنطينية، وكانت الإيالة أيضا تزرع مساحات شاسعة من التبغ الذي يعتبر من أرقى الأنواع في العالم ويصدر إلى تونس وغيرها من البلدان المجاورة، وفي الأرياف تغرس نفس الكروم وأشجار الزيتون وما إلى ذلك من الأشجار المثمرة، كما تزرع الخضروات المختلفة وكل ما يحتاج إليه.[2]

التجارة والصناعة لم تكن الجزائر مكتفية في نشاطها الاقتصادي على الفلاحة فقط بل كانت لها نظم تجارية داخلية مضبوطة وصناعة كانت تترقى بها ببطء، ولكن بخطى ثابتة وأبرز مظهر تجاري يبدو في نظام الأسواق الأسبوعية ففي كل قرية أو بلدة صغيرة كان ومازال ينظم سوق يحدد في يوم من أيام الأسبوع لا يكون فيه سوق في قرية أو بلدة صغيرة في بقية المنطقة، وذلك حتى يتمكن كل سكان المنطقة في الاستفادة من جميع الأسواق وإلى جانب هذا التبادل التجاري الداخلي كان يوجد تبادل خارجي في سنوات الحصار الفرنسي للجزائر الذي دام ثلاثة سنوات ماعدا بها للاحتلال، وكان هذا التبادل بين الجزائر وتونس والجزائر والمغرب، وكان أيضا من نتائج هذا الحصار إذ تحركت الصناعة اليدوية وإعمال الأنباء إذ احتلت مكانة كبيرة من العناية في الجزائر لا تقل عما كانت عليه في عدة أقطار أوروبية مثل إيطاليا الجنوبية وإسبانيا أو الإمبراطورية النمساوية،[3] ومن أشهر

(1)- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن، ص60.

(2)- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص:33.

(3)- عبد الله شريط، محمد الميلي: **الجزائر في مرآة التاريخ**، مكتبة البعث، ط1، قسنطينة، الجزائر، 1965، ص151:-152.

الصناعات في الجزائر نسيج الزرابي والأقمشة في تلمسان وقسنطينة وفي العاصمة تطرز الملابس، ويوجد عدد من المصانع الخاصة بالشواشي الصوفية التي تباع بأثمان زهيدة جدا، وبالمحازم الحريرية المذهبة والمفضضة، والمصنوعات الجلدية مثل الأحذية وغيرها،[1] الدافع الاقتصادي كانت توجهه العلاقات الخارجية من خلال نشاط القرصنة ونظام الإتاوات والهدايا الإلزامية، كما أن الوضع الاقتصادي ظل هو الآخر يتحكم في الصراع والتنافس بين فرق الوجاق والجماعات جماعات الرياس.[2]

ويرجع الفضل في المحافظة على هذه الصناعات المحلية المختلفة إلى بعض الأسر من الحضر الأندلسيين واليهود، التي توارثت صناعتها وحافظت عليها من الاندثار، فالتجارة الداخلية كانت تتم داخل المدن أو بواسطة الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف، ولكن التجارة مع الأقطار الإفريقية والإسلامية لا تمثل غير جزء ضئيل بالنسبة للتبادل التجاري مع الدول الأوروبية رغم جو العداوة والاضطراب الذي كان يسود العلاقة بين هذه الدول الأوروبية وإيالة الجزائر.[3]

إن هذا الإنجاز الاقتصادي الذي شهدته الجزائر ما كان له أن يتحقق، لولا وجود العديد من العوامل أهمها:

(1)- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر**، المرجع السابق، ص:31.

(2)- ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص:388-391.

(3)- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص:36-37.

أ- **الهجرة الأندلسية:** التي عرفت تزايد كبير خلال القرن السابع عشر الملك الإسباني **فيليب الثالث**[1] قرار للطرد الجماعي حيث بلغ عددهم عام 1611 مائتين وخمس وسبعون ألف مهاجر.

ب- **فاعلية النشاط البحري:** يعتبر القرن السادس عشر والسابع عشر العصر الذهبي للبحرية الجزائرية وذلك بالنظر إلى حجم الغنائم خلال هذه الفترة.[2]

ج- الأوضاع الاجتماعية:

كان المجتمع الجزائري متكونا من الأتراك وهم الطبقة الحاكمة، وتضم في صفوفها الموظفين الساميين من السياسيين والإداريين والجنود،[3] تميز المجتمع الجزائري بتركيبة اجتماعية خاصة عرفت مع انضمامه للدولة العثمانية زيادة عن السكان الأصليين عرب، أمازيغ وفد إليه الأتراك والأعلاج والأندلسيين،[4] وقد تكونت عدة فئات اجتماعية عدة خلالها وهي:

1- الفئة الحاكمة: وتشمل الأتراك من قوات الانكشارية وموظفين وقادة رياس البحر وعلى الرغم من قلة تلك الفئة التي لم تتجاوز عددها من سنة 1830م أكثر من 20 ألف نسمة، إلا أنها كانت تسيطر على سدة الحكم ولها نفوذ واسع بحكم تسلمها المناصب الحكومية المهمة في الدولة، وإبعاد أهل البلاد عن تلك المناصب، والعمل على إبقائهم

(1)- **فيليب الثالث:** يعرف أيضا باسم فيليب التقي، ولد في مدريد وهو ابن فيليب الثامن من رابع زوجاته "آنا" ابنه الإمبراطور ماكسيميليان الثاني وماريا من إسبانيا، تزوج الملك فيليب الثالث من مارغريت من النماس شقيقة الإمبراطور فرديناند الثاني من آل هايسمبورك، وامتدت فترة حكم هذا الملك من 3 سبتمبر 1598 إلى غاية 31 مارس 1621م وهو ملك قشتالة أرغوان، البرتغال، نابولي وصقلية ينظر . http://www.marefa.org تاريخ الاطلاع: 2018/01/24.

(2)- شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م**، تعريب: محمد مزالي البشير بن سلامة، مؤسسة تأوالت الثقافية، 2011، ص :165-166.

(3)- عمار عمورة: المرجع السابق، ص:107.

(4)- وليام سبنسر: المرجع السابق، ص:97 .

بعيدين عن منافستهم، فضلا عن استقدام أبناء جلدتهم من الأناضول في حالة وجود نقص في إدارة البلاد، وبسبب ذلك ساد العداء بين أهل البلاد والفئة الحاكمة من الأتراك.

2- **الكراغلة:**[1] تكونت تلك الشريحة نتيجة زواج أفراد الجيش الانكشاري بالنساء الجزائريات، وظهرت تلك الطبقة للمرة الأولى في المدن التي تمركزت بها الحاميات العثمانية وتمتعوا بوضعية اجتماعية حسنة.[2]

3- **الأعلاج:**[3] عرفت أعدادهم تطورا في القرنين السادس عشر والسابع عشر بسبب تقدم البحرية، وهم يأتون في الدرجة الثانية في السلم الاجتماعي ويتمتعون بنفس الامتيازات التي للأتراك ينشطون ضمن فئة الانكشارية وبشكل أكثر ضمن طائفة الرياس وكثيرا منهم من ارتقى إلى أعلى مناصب السلطة في الإيالة **كعلج علي**،[4] أما باقي سكان المدن فيمكن تصنيفهم حسب أوضاعهم الاجتماعية إلى ثلاث طبقات: طبقة الحضر (البلدية) تتكون من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد من مهاجري الأندلس بعد أن تكاثر عددهم نتيجة قرارات الطرد الإجباري التي تعرضوا لها بإسبانيا سنة 1610، طبقة الدخلاء: جماعات الأسرى المسيحين المستخدمين في الحانات أو السجون أو مسخرين للخدمة في قصر الداي أو

(1)- **الكراغلة:** هم المولودون نتيجة المصاهرة بين الرجال الأتراك والنساء الجزائريات. ينظر: حمدان خوجة: **المرآة**، تع: محمد العربي الزبيري، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، د.س.ن، ص:63.

(2)- حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص : 64

(3)- **الأعلاج:** هم أوروبيون اعتنقوا الإسلام تعود أصولهم لمختلف الدول الأوروبية لاسيما المتوسطية. ينظر: أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص:84.

(4)- **علج علي:** من أشهر حكام الجزائر في الفترة العثمانية، أصله من كلابري الإيطالية بصقلية، ولد سنة 1500م، وتولى حكم الجزائر في 14 صفر 976هـ/1569م، وتوفي سنة 1952. ينظر: ابن المفتي: **تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمع: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص:41.

رعاية بعض البساتين، وأغلب أفراد طائفة البراني كانوا يشتغلون في مهن متواضعة، ففي مدينة الجزائر كانت تختص كل جماعة بمهنة متواضعة تشتهر بها.[1]

4- سكان الأرياف: لا سيما وأنهم الغالبية الساحقة، وأن الاقتصاد الجزائري اكتسب بفضل ممارستهم الفلاحة وتربية المواشي طابعا فلاحيا رعويا كان من العمق والشمول، فالنصف المتعامل مع السلطة الحاكمة مقابل فوائد، مادية ومعنوية يعرف بقبائل المخزن، أما النصف الخاضع مباشرة للأتراك، فيعرف بقبائل الرعية،[2] والصنف الثالث قبائل ممتعة عن نفوذ البايلك، وهم يشكلون البقية القاطنة في المناطق النائية والجبلية.[3]

ويتبين لنا أن المجتمع الريفي طغت عليه مجموعة وطوائف كقبائل المخزن، وشيوخ العرب الذين كان لهم نفوذ للسيطرة هذا لامتلاكها للأراضي الشاسعة، مما جعل السلطة تتقرب منهم مما سمح لهذه المجموعات بسط نفوذها على مجموع السكان أصحاب المستوى المتواضع كالرعية والممتنعين الذين تم استغلالهم بفرض الضرائب، سواء من طرف الطوائف أو السلطة فيمكن أنها كانت مهمشة ومهضومة الحقوق،[4] وأن صحة السكان لها تأثير كبير على الأوضاع الاقتصادية في جميع البلدان، وأن الشعب الذي لم يسلم من الأوبئة والعاهات، وتعرضت الجزائر لأمراض وأوبئة مختلفة أصابت سكانها مرات متعددة، وأحدث خسائر تكاد تكون خالية من كثرة هولها وارتفاع عدد الضحايا.[5]

(1)- ابن المفتي: المرجع السابق، ص:43.

(2)- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، المرجع السابق، ص:48-49.

(3)- ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص:50 .

(4)- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية**، المرجع السابق، ص:51 .

(5)- ناصر الدين سعيدوني: **الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر في العهد العثماني، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها**، جمع وتعريب عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ج1، ج2، 1986، ص432-436.

د- الوضع الثقافي:

اتسم القطر الجزائري على مراكز دينية وثقافية في بجاية وقسنطينة وتلمسان ومدينة الجزائر و**مازونة**،[1] كان لها مستوى رفيع وعلمي، من خلال دروس الحواضر العلمية الموجودة في الأقطار المجاورة كجامع الأزهر بمصر، وجامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس.[2]

وقد انتشرت في كل قراه وبواديه وحتى الجبال النائية، أما الرحل كانت ترافقهم خيمة بها طالب يعمل على تلقين الأطفال أولويات القراءة والكتابة وهذا فضلا عن تحفيظهم للقرآن الكريم، لا تخلط مع تحفيظه شيئا من العلوم الأخرى، وبلغ عددها في الجزائر نحو 10 آلاف كتاب يضم الواحد منها ما بين 20-30 تلميذا، وهي منتشرة انتشارا واسعا في الجزائر، إذ لا تخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا في القرى والأرياف.[3]

إن الولاة العثمانيين كان لهم تكوين ثقافي بسيط مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم، لذلك يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر قلة الإنتاج الثقافي، لعدم اهتمامهم بذلك الجانب الحيوي والثقافي، إلا في عدد من المدن الجزائرية التي حافظت على التراث الفكري الذي ورثته، ونبغ فيه علماء وشعراء واتسع أفق أبنائها في مجالات أدبية ولغوية وعقلية، فضلا عن أن معظم الكتب قد وردت إلى الجزائر عن طريق عدد من العمال العثمانيين في الجزائر.

(1)- **مازونة**: عاصمة الظهرة، مدينة قديمة سبقت الاحتلال الروماني. ينظر: مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:48.

(2)- أحمد مريوش: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، سلسلة المشاريع الوطنية للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2009، ص:15.

(3)- يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1965، ج1، ص:156.

يبدو أن عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الثقافية في الجزائر لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدأوه من العلوم الإسلامية والإنسانية، والاهتمام بالمكتبات، وثرائها بالكتب والمخطوطات والحفاظ عليها من التلف بحملها إلى أماكن آمنة.[1]

3/ الأوضاع العامة بتونس:

أ- الأوضاع السياسية:

أصبحت البلاد التونسية بعدما احتلها الأتراك سنة 1574 بمثابة ولاية عثمانية يحكمها باشا يوليه عليها الخليفة من إسطنبول لمدة معينة، والملاحظ أن هذه المقاطعة الجديدة كانت مؤهلة لأن تسلك سبيلها الخاص في التطور أي تتميز بكيان سياسي تونسي.[2]

فقد جاء القائد سنان باشا إلى تونس ووضع نظاما لحكمها قوامه حاكم مدني هو الوالي ولقب بالباشا هو السلطان على أن يساعده ديوان استشاري مكون من ضباط عسكريين، وموظف يدير الشؤون المالية يلقب بالباي، وعمل على إبقاء أربعة آلاف مقاتل من عسكر الانكشارية[3] في تونس مع تقسيمهم إلى 40 قسما وجعل لكل مائة أميرا يسمى بالداي وبالتالي تكون الجباية للباي والنظر إلى العسكر إلى الأغا ولهنا فإن المجلس الأعلى لهذا العسكر كان يسمى الديوان وكان له شأن عظيم في حياة المقاطعة.[4]

(1)- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص:165.

(2)- إسماعيل أحمد باغي: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، 1997، ص:138.

(3)- **الانكشارية:** هم من أوائل الجنود العثمانيين الذين يجلبون صغار من النصارى وغيرهم معتنقين الإسلام. يتدربون عسكريا ويطلق عليهم القادة الجدد. أنظر: رشاد الإمام: **سياسة حمودة باشا في تونس**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السلسلة الرابعة، تاريخ منشورات الجامعة التونسية، 1980، ص:44 .

(4)- إسماعيل أحمد ياخي: **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، ج2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1993، ص:93.

ومن أهم الباشوات الذين تداولوا على الحكم حيدر باشا الذي عين سنة 1577 ليكون أمير أمراء تونس، وكذلك رمضان باشا الذي حكم إلى غاية 1579 ثم جاء بعده جعفر باشا ومصطفى باشا، فحسن باشا وهكذا إلى غاية 1591.[1]

لكن سرعان ما تغير الوضع بسبب المواجهة التي حدثت بين الانكشارية وأعضاء الديوان الذين تميزوا بالظلم، وحدثت ثورة في سنة 1591 ضد النظام المعمول به في الإيالة وتم القضاء على أعضاء الديوان الظالمين، وتوصل الدايات إلى الحكم بعد ثورة 1591.[2]

وبالتالي فتح عهدا جديدا هو عهد سيطرة الدايات، ويفسر نجاح هذا الحكم الفردي أولا «ما كان يتمتع به الدايات من شخصية قوية، إذ كانوا ضباطا أشداء تخرجوا من صفوف الجندية مثل عثمان داي (1598-1610) وكان يفرض نفسه على الجميع بفضل ما كان يتمتع به من بركة وحسن السلوك كما أن الدايات كانوا سياسيين دهاة مثل يوسف داي (1610-1637) الذي استكمل ما بدأه عثمان داي حيث عمل هذا الأخير على تسوية الحدود بين الجزائر وتونس وتوفي سنة 1631 ثم خلفه أسطا مراد الذي واصل في تطوير البلاد إلى غاية 1640.[3]

وقد كان للدايات دور كبير في قيادة العسكريين وقاموا بفرض أنفسهم على العساكر الغير منضبطين وعقابهم بإجراءات الردع العنيفة، وأعادوا إلى صفوف العسكر ذلك

(1)- عزيز سامح ألتر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ط1، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص:275 .

(2)- عزيز سامح ألتر: المرجع نفسه، ص:280.

(3)- محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعريب محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص:72 .

الانضباط الشديد الذي كان مصدر قوتهم كما ضمنوا لهم بصفة خاصة موارد للرزق منتظمة بفضل تنظيم أحسن لشؤون البلاد وتطور مواردها.[1]

ولهنا فقد كان للدايات فضل عظيم على الأعيان من أهالي المدن فدخل هؤلاء شيئا فشيئا في طاعتهم من مستشارين وكتّاب، أو موالي، وبالتالي حرص الدايات على إقرار نظام المدينة الإسلامية وسننها من جديد وحماية أهل المدن وممتلكاتهم، وبالتالي فإن تونس في هذه الفترة شهدت تطورا كبيرا خاصة على المستوى السياسي حيث ساهم في تقوية هذا النظام وترسيخه.[2]

لكن فيما بعد ظهرت سلطة أخرى غلبت على سلطة الدايات وهي سلطة البايات المراديون الذين أعلنوا عن ولائهم للسلطة وكان أول بايات السلطة المرادية هو أسطا مراد. وقد منحته الدولة العثمانية لقب باشا لكنه توفي في السنة نفسها وتولى الحكم بعده ابنه حمودة الذي يعد المؤسس الحقيقي لأسرة البايات المرادية.[3]

حيث تولى قيادة الجيش واستطاع القضاء على أعمال الشقاوة وساهم بشكل كبير في تطوير البلاد إلى غاية وفاته سنة 1665 وقد تعلقت همة هاذين البايين خاصة بكسر شوكة القبائل المحاربة الكبرى، ولهذا بلغ المراديون غايتهم في السيطرة على جانب وافر من البلاد وصرفوا همتهم إلى تنظيم هذا المجال تنظيما عسكريا وإداريا واقتصاديا يخدم مصلحتهم الخاصة.[4]

(1)- المرجع نفسه، ص:73 .

(2)- محمد الهادي العامري: **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول**، الشركة التونسية للتوزيع، القصبة، تونس، 1974، ص:230.

(3)- إسماعيل أحمد ياغي: **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص:94.

(4)- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص:78 .

وهكذا كان لحمودة باشا قوة تجعله يفرض مرشحه هو كخطة داي إلا أن ظفره كان متواضعا وشديد الاحترام وتمكن من تجنب كل نزاع ظاهر إلى أن توفي سنة 1666.[1]

ثم خلفه ابنه مراد باي الذي تفرغ لأمور الدولة وتحكم في الأوضاع إلى غاية وفاته سنة 1675. ومن هنا دخلت الدولة المرادية في فترة اضطرابات وفتن وفوضى وتولى السلطة محمد باي،[2] وحكم القيروان ودخل في حرب مع أخيه علي وانهزم فيها علي مما أدى به إلى الفرار إلى صفاقس ثم إلى سوسة، ولكن التقى الأخوة فيما بعد في صف واحد ودخلا في حرب مع الباي الجديد محمد منيوط وانتصر الإخوة واستولوا على مدينة تونس سنة 1685، وساهم الجند في قتل علي باي وأعاد الحق لصاحبه محمد داي وتوجه إلى أمور الدولة وكان ميالا للإصلاح لكنه لم يهنأ بفترة طويلة، وتعرض إلى ثورة من طرف صهره محمد بن شكر.[3]

وعين بعدها ابن شكر دايا على تونس وباشر في تنفيذ سياسة الظلم وزادت الأوضاع سوءا، ولكن تم القضاء على هذا الداي وعاد محمد باي وأصلح الحال إلى أن توفي سنة 1107هـ إلا أن الحالة ستضطرب من جديد أثناء ثورة مراد الثالث سنة 1699 بسبب نزوات هذا الرجل عندما تولى مقاليد الحكم (1699-1702).[4]

ب- الأوضاع الاقتصادية:

إن كثير من المؤشرات تسمح لنا أن نستنتج عودة حركة حقيقية إلى المبادلات داخل البلاد، وتطور صناعي كبير وذلك بفضل الأندلسيين المهاجرين الذين طردوا من إسبانيا سنة

(1)- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص:79.

(2)- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتب الشرقية، تونس، 1373هـ، ص:144.

(3)- إحسان حقي: **تونس العربية**، دار الشمالي للطباعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص:99.

(4)- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص:80 .

1609 فاستقبلت السلطة التونسية عشرات الآلاف منهم، حيث كان لهم دور كبير في تعمير بعض المناطق وإحيائها إذ غرسوها زيتونا وجعلوا منها أراضي سقوية ومن ذلك أراضي وادي مجردة السفلى وسواحل شمال البلاد من قلعة الأندلس إلى بنزرت.[1]

ولذلك فقد أبدى المجتمع التونسي اهتماما كبيرا بالزراعة وذلك نظرا لاتساع الأراضي الخصبة والمناخ الملائم وبالتالي تنوعت المحاصيل الزراعية، ومن أهم الزراعات المتوفرة نجد زراعة الفلفل الأخضر والخس، والسبانخ والخضر والفواكه المتنوعة في المناطق الجبلية وكذلك الأشجار المثمرة بأنواعها.[2]

وقد كانت مدينة تونس تبدو في مظهر مدينة تجارية في هذه الفترة وكانت هناك صناعات متنوعة كصناعة النسيج بالعاصمة وسوسة والقيروان، وكذلك صناعة العطر والخزف والسجاد والجلد والحلفاء، وغيرها من الصناعات وقد تم إنشاء ورشات خاصة لهذه الصناعات المختلفة.[3]

ولذلك يمكن القول أن المجالين الفلاحي والصناعي كانا يتميزان بالاستقرار والثبوت فالتجارة أصبحت من الدعائم الرئيسية للاقتصاد التونسي بانتشارها في المدن والأرياف.[4]

وفضلا عن ذلك لا يمكن أن ننسى أعمال القرصنة والمعاهدات التجارية التي أبرمتها تونس منذ بداية القرن 17 مع العديد من الدول الأوروبية أو مع تجارها.[5]

---

(1)- ضيف شوقي: **عصر الدول والإمارات ليبيا، تونس – صقلية**، دار المعارف، النيل، القاهرة، 1992، ص:136.

(2)- محمد بيرم الخامس: **صفوة الاعتبار بمتنوع الأمصار والأقطار**، القطر التونسي، ط2، تحقيق علي بن الطاهر الشوقي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، مج2، ص:335 .

(3)- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص:76 .

(4)- أحمد قاسم: **أوضاع إيالة تونس العثمانية –على ضوء فتاوى ابن عظوم**، المجلة التاريخية المغربية، العدد33-34، مطبعة الاتحاد العام التونسي، 1979، ص:152.

(5)- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص:74

ج- الأوضاع الاجتماعية والثقافية والدينية:

احتوت التركيبة السكانية من عناصر عديدة أهمها سكان البلاد الأصليين الأحرار يتمركزون في المدن والمناطق الساحلية أما الفقراء والفلاحين تجدهم في الريف، وكذلك العنصر الأندلسي المهاجر وكذلك الفاتحون الأتراك الذين جاؤوا من أجل محاربة الإسبان.[1]

أما فيما يخص الحياة الثقافية فقد خرجت شيئا فشيئا من حالة الجمود والسبات إلى النشاط في الدراسات الدينية بتونس وكثرة العلماء وتعددت التآليف الأدبية والعلمية والتاريخية، وقام الدايات والبايات بتجديد المدارس القديمة كالشماعية والمنتصرية وبناء المدرسة المرادية، ومن أهم المراكز العلمية الزوايا تدرس فيها مختلف العلوم وتم تنصيب الشيوخ فيها للتعليم.[2]

وقد أقيمت هناك أعمالا فنية ظريفة مثل: جامع يوسف داي وجامع حمودة باشا، وقصور رمضان باي وعثمان باي.

وباختصار فإن البلاد التونسية شهدت انطلاقة واضحة على الصعيدين الثقافي والاقتصادي واستفادت منها الدايات لتدعيم نظامهم.[3]

4/ طبيعة العلاقات بين االجزائر وتونس:

ربطت بين الجزائر وتونس علاقات سياسية اتسمت في مجملها بطابع التوتر، ابتداء من التدخلات المباشرة للجزائر في السياسة التونسية، كما حدث في سنة 1677 حيث تدخلت الجزائر من أجل الفصل في الصراع الذي حدث بين الأخوين محمد وعلي، بعد وفاة

(1)- حمادي الساحلي: **فصول في التاريخ والحضارة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص:59.
(2)- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص:76.
(3)- أحمد الطويلي: **في الحضارة العربية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ص:24.

والديهما **مراد باي**[1] 1675، فقرر الديوان تكليف عمهما الحفصي بإدارة الإيالة، وفر محمد باي إلى تونس إلى الكاف ليجمع أنصاره ضد عمه الحفصي، فقويت شوكة محمد باي، واستولى على السلطة وبعد مدة ثار علي باي على أخيه محمد فهرب هذا الأخير إلى قسنطينة، ومن ثم اندلعت الحرب بين البايين التونسيين، وبين صفين الحنانشة، وانتهت هذه الحرب باستيلاء علي باي على السلطة، فلجأ محمد باي للجزائر بطلب دعمهم، هذا ما دفع بالجزائر لإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، ونصت على اقتسام البلاد مناصفة بينهم.[2]

ولكن سنة 1684، عرفت مدينة الجزائر اضطرابات قبل أن باي تونس هو الذي حرضها عن طريق عملائه، وفي هذه الاضطرابات اضطر **ميزو مورطو**[3] لخوض معارك في طرقات المدينة، لهذا استغل الداي هذا الخلاف بين العائلة الحاكمة في تونس وأرسل سنة 1686 حملة بقيادة إبراهيم خوجة على الجزائر ونصب محمد باي على رأس الإيالة سنة 1686م.[4]

في سنة 1689 نظم أتراك الجزائر حملة على تونس انتهت بخلع الباي وتنصيب باي جديد مكانه، هو محمد شاكر، وقامت حرب أخرى سنة 1694م، بين محمد شاكر ومحمد باي وتدخل فيها رمضان باي، فألحق الاثنان هزيمة نكراء لمحمد باي في منطقة الكاف، انتهت هذه الحرب بتنصيب محمد شاكر على تونس، لكن نفور الشعب لهذا الحاكم

(1)- **مراد باي**: تولى الحكم بعد وفاة والده حمودة باشا [1666-1675]، كان ذا شجاعة وحنكة سياسية وتمكن من ضبط حكمه. أنظر: ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان**، ج3، تونس، 1963، ص:54.

(2)- صالح عباد: المرجع السابق، ص:146.

(3)- **ميزو مورطو**: كلمة إيطالية تعني نصف ميت، وقد نعت حسن رايس بهذا الاسم لكونه ضرب بالسياط حتى كاد يموت، وهو من أقدم القراصنة الإيطاليين. أنظر: أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، دار البصائر، 2009، ص:92.

(4)- محمد بن محمد الأندلسي: **الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج2، تق تح: محمد الحبيب الهيلة، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص:458 .

وتفضيلهم لمحمد باي، دفع بهم إلى عزله ومنعه من اللجوء السياسي للجزائر مرة ثانية، وفي سنة 1695 اعتلى الحاج أحمد سدة الحكم، وذلك بعد تمرد **الحاج شعبان**[1] وتم القضاء عليه من طرف الانكشارية.[2]

وفي بداية حكم مراد باي قام بحملة على قسنطينة سنة 1700 تعتبر من أخطر الحملات في تاريخ الإيالتين، وسبب اضطراب هذه الحملة هو رفض داي الجزائر هدية مراد باي، رغم أن هذا ليس سببا كافيا لإعلان الحرب على الإيالة المجاورة وإنما هو تلبية لدعوة قبيلة الحنانشة للانتقام من باي قسنطينة، فألقى باي تونس القبض على أحد أبناء باي قسنطينة، وحاصر قسنطينة نفسها وحاول اقتحامها، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل.[3]

وبالتالي قد كانت طبيعة العلاقات بين الإيالتين في هذه الفترة تتميز بالعصبية والصراع السياسي للسلطة، ودخلتها عدة حروب نجم عنها خسائر مادية وآثار سلبية على الاقتصاد والسكان لدى الإيالتين.[4]

(1)- **داي شعبان**: تولى الحكم سنة 1689 ومات قتيلا سنة 1695. أنظر: ابن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص:25.

(2)- محمد صالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص:37.

(3)- صالح عباد: المرجع السابق، ص:147.

(4)- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص:40.

و خلاصة القول نتوصل بأن الحكم العثماني في الجزائر استمر من 1519 إلى غاية سنة 1830م، فعرفت هذه الفترة تطورات هامة من ناحية نظام الحكم، كما استمر الوجود العثماني في تونس بخيره وشره، وقد كانت أوضاع الجزائر خلال الوجود العثماني خاضعة إلى ثلاثة مؤثرات، أولها: صلاحيات المؤسسة العسكرية وثانيها: علاقة الإدارة المحلية بالسكان، وثالثها: الظروف الدولية السائدة. في أن الأوضاع العامة بتونس تميزت بالاستقرار والثبوت، خاصة على مستوى المجالين الفلاحي والصناعي، كما أن التجارة أصبحت من الدعائم الرئيسية للاقتصاد التونسي.

أما بالنسبة للعلاقات الجزائرية التونسية فقد تعددت إلى علاقات متشابكة، ومن مظاهر الخصام بين الإيالتين، تعدد الحملات التأديبية، قد استمرت العلاقات بالتنافر خاصة عندما توغل مراد باي على نواحي قسنطينة.

الفصل الثاني:

العلاقات السياسية العسكرية بين تونس والجزائر خلال القرن 18

1- طبيعة العلاقات بين الجزائر وتونس مع مطلع القرن 18.

2- التدخل الجزائري في الشؤون التونسية.

3- أبرز المعارك بين الجزائر وتونس خلال القرن 18.

4- موقف الدولة العثمانية من الصراع بين الجزائر وتونس.

بالرغم أن البلدين كانا تابعين للدولة العثمانية، فإن العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس تميزت في فترة القرن الثامن عشر بعدم الاستقرار، يسودها العداء والصراع، غلب عليها طابع التوتر حيث كان العثمانيون يعتبرون تونس إقليما تابعا لإيالة الجزائر، وكانت تونس ترفض ذلك من جهة ومن جهة أخرى ظل بايات تونس يطمعون في الاستيلاء على قسنطينة.

1- طبيعة العلاقات بين الجزائر وتونس مع مطلع القرن 18:

يمكن إرجاع أسباب هذا العداء إلى الصراع على النفوذ بين حكام النيابتين، وإلى مشاكل الحدود التي كانت تؤدي إلى عمليات غزو واسعة.[1]

وبدأ النزاع بين الجزائر وتونس في مطلع القرن السابع عشر بسبب الخلاف على الحدود وبتحريض أحد المتسلطين التونسيين في الكاف.

ولجأت كل من الجزائر وتونس في أواخر هذا القرن لإقحام نيابة طرابلس والمغرب في منازعاتهما، فتحالفت الجزائر مع طرابلس وتحالفت تونس مع المغرب[2]، وفي أوائل القرن الثامن عشر تدخل السلطان مصطفى لإيقاف النزاع ولكن باي تونس "مرادي" قص هذا التدخل وظل مصمما على مهاجمة الجزائر وأوفد آغا الصبيحية (السباهية) إبراهيم الشريف إلى تركيا ليجمع له جندا.[3]

(1)- محمد خير فارس: دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دط، مكتبة دار الشرف، شارع سوريا، بيروت، ص108.

(2)- أحمد بن أبي الضياف: المرجع السابق، ص32.

(3)- محمد خير فارس: المرجع السابق، ص109 – 110.

ولكن السلطان أوعز إلى إبراهيم الشريف بالتخلص من مراد باي، ونجح إبراهيم في القضاء على الأسرة المرادية[1]، وكانت نهاية العهد المرادي بتسيير **مراد باي الثالث**[2] حملة على قسنطينة عام 1700م، حيث تعتبر من أخطر الحملات في تاريخ الإيالتين ويتفق جل المؤرخين أن أسبابها تعود إلى رفض داي الجزائر هدية مراد بوابالة، وليس سببا كافيا لإعلان الحرب على إيالة مجاورة، فإن مراد باي شرع في هذه الحملة تلبية لدعوة من قبيلة الحنانشة التي ينتمي إليها للانتقام من باي قسنطينة.

قام مراد باي بحصار قسنطينة بقوات تونسية مدعمة بأخرى طرابلسية لكن فشل فور وصول قوات من مدينة الجزائر التي تمكنت من هزيمة مراد باي بالقرن من مدينة سطيف[3].

إلا أن هذه هذه الفترة الانتقالية لم تمنع من تولي حكم تونس شخصية تركية الباي إبراهيم الشريف (1702-1705) من حدوث اشتباكات بين الطرفين الجزائري والتونسي. [4]

(1)- محمد خير فارس: المرجع السابق، ص :110 .

(2)- **مراد باي الثالث:** بويع للحكم يوم الإثنين 1110هـ / 16 مارس 1699م وعمره 18 سنة، عرف بجوره وهتكه للحرمات وشدة قتله بسيفه البالة والذي يعني بالتركية حاد الشفرتين، ولذلك مراد باي الثالث بمراد بوابالة، ينظر: الوزير السراج: المصدر السابق، ص :654 . وأيضا: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص :86 .

(3) -Ferraud Charles : « Les Harar seigneurs des Hanencha », R.A, Vol 18 Alger, 1978, P :202.

(4)- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص :66.

فهذا الباي بعد أن استتبت له أمور الحكم أخذ في التملص من دفع الضريبة السنوية للجزائر، وهذا ما دفع بالداي **الحاج مصطفى**[1] إلى محاربته، والتقى الجيشان عند الحدود الشرقية وكان النصر لصالح الجزائر[2]، حيث سارع التونسيون لاختيار أحد فضلاء الدولة ووقع اختيارهم على كاهيته الحسين بن علي، مؤسس الدولة الحسينية.

واستأنف الجزائريون تدخلهم في عهد **الأسرة الحسينية**[3] مستغلين تنافس أفرادها وطلبهم المساعدة الجزائرية.

ولقد نجم عن هذه السمة التي صبغت العلاقات بين الإيالتين من النتائج والآثار منها: دخول تونس في مرحلة عصيبة من الصراع السياسي على السلطة حيث أدخلتها في حرب أهلية امتدت قرابة عشرين سنة بالإضافة إلى الخسائر البشرية التي خلفتها خلال صراع الإيالتين[4] وجاءت على شخصيات بارزة في الدولة أمثال "شعبان داي"، "علي باي" و"**أحمد بن باي**"[5] و"**الداي أحمد شلبي**".[6]

---

(1)- **الداي الحاج مصطفى**: تولى الحكم بين 1700-1705، تمكن من نجدة أهل قسنطينة ومدينة الجزائر في مناسبات عدة، ومن ذلك رده لحمله مراد باي على قسنطينة وكسره للحلف المشترك بين تونس والمغرب على الجزائر عام 1702م. ينظر: أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص65 – 66.

(2)- ابن ميمون الجزائري: المرجع السابق ص28

(3)- **الأسرة الحسينية**: تنسب إلى مؤسسها الحسين بن علي الذي حكم (1705/07/15 – 1735/09/07) واستمر حكم الحسينيين إلى غاية إعلان الجمهورية في 25 جويلية 1957م فترة زمنية امتدت ما يربوا عن القرنين ونصف، من أشهر حكامها: محمد الرشيد باي (1756-1759م)، حسين باي الثاني (1824-1835م)، محمد الأمين باي (1934-1957م). ينظر: حمادي الساحلي: المرجع السابق ص42-43

(4)- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص29.

(5)- **أحمد بن محمد باي**: توفي مقتولا سنة 1094هـ/1683م. ينظر: الوزير السراج: المصدر السابق، مج2، ص508.

(6)- **الداي أحمد شلبي**: ولي في 2 شوال 1093هـ/1682م، دخل في صراع مع محمد وعلي باي انتهى بمقتله في 28 رجب 1097هـ/19 جوان 1683م. ينظر: الوزير السراج: المصدر السابق، مج2، ص544 وكذلك ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص71.

وتوافقت العلاقات السياسية بين الإيالتين الجزائرية والتونسية وحكم أسرة الحسينية، وكانت قد تميزت بما تميزت به العلاقات السابقة من توتر ولكن ظهر نموذج جديد في الصراع القائم ولعب دورا فعالا ألا وهو الصراع البحري. [1]

الصراع البري:

وقد بدأت المناوشات البرية بتدخل على الإيالة الجزائرية، لصالح علي باشا ضد عمه **الحسين بن علي**[2] الذي كان يدافع عن حقه في الجلوس على كرسي الحكم وقد جاء هذا التدخل بسبب تودد علي باي ولجوئه إلى السلطات الجزائرية وتقديمه وعودا لها وقد شاركت الجزائر بقوات تقدر بـ4000 جندي مدعمين بقوات من صفوف الحنانشة بوعز وبني مناصر،[3] وقد سببت هذه الأزمة حرب أهلية دامت 5 سنوات في الإيالة التونسية وقسمت البلاد إلى قسمين، قسم مع علي باشا **الباشية**،[4] والقسم الآخر مع الحسين بن علي على **الحسينية**.[5]

(1)- يحي بوعزيز: موجز تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 2007، ص50

(2)- **الحسين بن علي**: ولد سنة 1086هـ/1675م، من والد قدم من جزيرة كريث متطوعا للخدمة العسكرية في الدولة المرادية، وحذا ابنه حذوه في خدمة الدولة وأخذ يرتقي سلمها شيئا فشيئا إلى أن أصبح مؤسس العهد الحسيني بمبايعته للحكم في يوم الأحد 20 ربيع الثاني 1117هـ/12 جويلية 1705م، كان متبنيا لابن أخيه علي وبذلك عد المرشح الوحيد للسلطة من بعده، لكن بمجرد إنجابه للولد وقد حرم من هذه النعمة منها طويلا، درأ ابن أخيه عن السلطة مقدمها في ذلك النسب عليه، وهو من أبرز الأسباب التي دفعت علي باشا للثورة عليه. ينظر: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص:105 – 107.

(3)- ابن المفتي: المصدر السابق، ص:72.

(4)- **الباشية**: وهم السكان الموالون ليونس بن علي باشا وتمثل هذه المناطق في كوجمال والقلعة الصغرى وأكودة وزاوية سوسة، وجبل وسلات وقبائل المهاجر وأولاد عيار وورتان. ينظر: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص:140.

(5)- **الحسينية**: السكان التابعون والمناطق الموالية إلى الحسين بن علي حاكم تونس آنذاك تمثلت في القيروان وسوسة والمنستير والمهدية وقبائل جلاص وأولاد عون وأولاد سعيد. ينظر: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص:142.

ليخلق الصراع القائم على هرم السلطة انشطارا في وحدة الأراضي التونسية وقد خلق العديد من الخسائر البشرية والخراب والدمار العمراني لكن علي باشا قام بعد 7 سنوات بالتمرد على السلطة الجزائرية ومقاطعته لها، وقد قامت القوات الجزائرية بالتحرك من أجل القضاء على هذا التمرد لكنها فشلت، بسبب حصانة أسوار مدينة الكاف وقوتها[1]، وقد توجهت الجزائر إلى التحالف مع أبناء الحسين الذين توافد إليها وذلك من أجل تنصيب أبناء الحسين على عرش أبيهم، وقد تمكنت القوات الجزائرية من تحقيق مبتغاها وحصدها للعديد من الغنائم. [2]

وقد تميزت فترة الهيمنة الجزائرية على تونس بالسلام بين البلدين وهذا راجع لالتزام تونس بشروط الجزائر، وذلك بالرغم من كونها جاحفة في حق الإيالة التونسية. [3]

وقد انتعشت تونس في هذه الفترة تعليميا وعسكريا في عهد **حمودة باشا**. [4]

(1)- عبد الحميد هنية: تونس العثمانية، بناء الدولة والمجال، ط1، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012، ص:86.

(2)- محمد صغير بن يوسف: المشرع الملكي في سلطة أولاد علي التركي، تق: أحمد الطويلي، ط1، المطبعة العصرية، تونس، ج1، 1988، ص:69 – 75.

(3)- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص:71.

(4)- **حمودة باشا**: يعتبر من أهم الشخصيات المؤثرة في تاريخ العلاقات بين البلدين، تولى الحكم عام 1782 خلفا لوالده علي باي الثاني الذي حكم بين (1759-1782م) إلى غاية 1814 وقد عرف بنزعته الاستقلالية في جل علاقات تونس الخارجية وبالأخص مع الإيالة الجزائرية وذلك بالانسلاخ من التبعية لهذه الإيالة بل عزز موقفه هذا بإعلان هجومه على الجزء الشرقي منها عام 1807م مستغلا بذلك سوء الظروف الداخلية التي تتخبط فيها آنذاك. ينظر: حمادي الساحلي: المرجع السابق، ص:42.

الصراع البحري:

وقد ظهر نموذج جديد من التوتر يكمن في الصراع البحري مطلع القرن التاسع عشر، حيث تمكن **القبطان حميدو**[1] عن تحقيق عديد الانتصارات لصالح الإيالة الجزائرية وقد قام باستحواذ مركب تونس محملا بالشاشيات في 10 أكتوبر 1810.

وقام بشن هجمة بأسطوله البحري على **جربة**[2]، لكن جهله بالمنطقة حال دون تمكنه من الاستيلاء عليها. [3]

وكان الرد من الجهة المقابلة حيث قام الأسطول التونسي بمواجهة الأسطول الجزائري والرد على هذه التجاوزات الخطيرة، غير أنه تلقى هزيمة نكراء.

حيث استولى الأسطول الجزائري على **فركاطة**[4] بها ثمانية وعشرون مدفعا وكانت الخسائر من كلا الطرفين، 41 رجلا من الطرف الجزائري و230 رجلا من الطرف التونسي.

(1)- **القبطان حميدو**: هو حميدو بن علي، ولع منذ صغره بحب ركوب البحر ورغم أن والده وجهه لتعلم الخياطة إلا أنه ظل يتغيب عن الورشة ليذهب للقاء رواد البحر ليطرب أذنيه بسماع وصف رحلاتهم البحرية الشائقة، وكان لهذا تأثيره في تعزيز رغبته كي يحذو حذو أولئك الأبطال في نظره، فاشتغل في الأول كغلام في إحدى السفن ثم تدرج إلى أن أصبح قبدان نقيب مسؤول، صنع عدة إنجازات بحرية أثناءها عدة غنائم، توفي القبطان مقتولا تحت نيران الأساطيل الأمريكية التي اجتاحت ميناء الجزائر عام 1815م. ينظر: ألبير دوفال: الريس حميدو، تر: محمد العربي الزبيري، دط، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، د س ن، ص: 45 – 97.

(2)- **جربة**: يذكر ليون الإريقي بأنها مجاورة لليابسة وكلها منبسطة رملية يكثر فيها النخل والزيتون وغيرها من الأشجار المثمرة، ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص:93.

(3)- **الفركاطة**: أو الفرجاطة وتسمى أيضا البركانطي، هي سفينة ذات مجاذيف لها ساريتين، ينظر: أمين محرز: الجزائر في عهد الآغاوات (1659-1671م)، دط، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص:204.

(4)- ألبير دوفال: المصدر السابق، ص:85.

وهنا ثار غضب السلطان العثماني ووجه إليهم إستانة وقال **السلطان محمود الثاني**[1] "من يتحمل مثل ذلك لا يعد من السلاطين".

ولم تصل إلى هذه الأستانة إلى نتائج مرضية ولم تستطع وضع حد نهائي لمثل هذه التجاوزات وبهذا زاد غضب محمود الثاني، وأمر بمقاطعة الأسطول الجزائري وعجز سفنهم، كما أطلعهم أنهم في حال رفضهم الأوامر سيوجه أسطوله العظيم للجزائر، ويعاقب جميع العصاة، والمتمردين ولكن الداي الجزائري ضرب بهذه الأوامر عرض الحائط وأرسل إلى تونس مطالبا بدفع الإتاوات وكذا قام بتخريب حصن الكاف، ليرفض باي تونس الدفع وقد شن هجمة مضادة على الجزائر. [2]

وقد استمرت العلاقات بين الطرفين بين مد وجزر إلى غاية 1821م، أين كللت محاولات الصلح التي كانت تقوم بها الدولة العثمانية بالنجاح وتمكنت من عقد صلح نهائي بين الإيالتين. [3]

وقد كانت تتظلل هذه المناوشات فترات هدوء نسبي لم ترقى إلى درجة إقامة علاقات صداقة وتعاون.

(1)- **السلطان محمود الثاني**: هو ابن السلطان عبد الحميد الأول، ولد في 13 رمضان 1199هـ/20 جويلية 1785م، شهد عصره نشوب العديد من التمردات بدءا بالحركة الوهابية وثورة اليونان 1821م، توفي عام 1838م. ينظر: فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص:398.

(2)- صالح العنتري: المصدر السابق، ص:102.

(3)- أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تق: أحمد توفيق المدني، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص:106.

ويرجع التوتر الذي كان قائما بين البلدين الجزائري والتونسي لعدة أسباب، من الصعب فصلها وذلك لترابط هذه الأسباب ببعضها وتتمثل في تاريخ وآخر إقليم وآخر سياسي.

ومن أهم الأسباب المؤدية إلى هذا التوتر هو تواجد الأتراك وتحملهم مسؤولية تحرير المغرب العربي الإسلامي من الإسبان وجعلها ولايات تابعة للدولة العثمانية وقد حولت الجزائر إلى قاعدة للجهاد البحري[1]، وانطلقوا من خلالها إلى تحرير الدول الأخرى إلى طرابلس بقيادة **درغوث باشا**[2]، واسترجاع تونس على يد **سنان باشا**[3]، وضمها إلى الدولة العثمانية وقد تكونت للجزائريين فكرة أن الإقليم التونسي تابع لهم، وتابع لحكمهم عن طريق تعيين حكام تونس عن طريق بايلرباي الجزائر ولكن تونس انفصلت عن حكم الجزائر نهائيا عام 1590م، إلا أن الجزائريين ظلوا يتحينون الفرص من أجل استرجاعها وضمها لحكمها[4]، لكن تونس ظلت تتجرد من هذه التبعية والإنسلاخ عنها، وقد أعلنت تونس باشوية مستقلة عن الجزائر سنة 1590م، وزادت مطامع الحكام التونسيين في ضم إقليم قسنطينة من منطلق تبعيتها لها إبان العهد الحفصي وشنت عليها العديد من الغارات. [5]

(1)- كانت الجزائر تدعى قبل الاحتلال الفرنسي بـ "دار الجهاد"، لأنها تعتبر نفسها في جهاد مستمر ضد دار الكفر (الدول الأوربية وأمريكا) وخاصة ضد إسبانيا لإبادتها لمسلمي الأندلس. ينظر: ألبير دوفال: المصدر السابق، ص:06.

(2)- **درغوث باشا**: أصله من حصن صغير بآسيا الصغرى مقابل جزيرة رودس في إقليم مانطبشا وأهله من الأتراك الفقراء البدو، دخل في خدمة خير الدن بن يعقون منذ طفولته، كان ذو خبرة واسعة في ميدان البحرية، ولما أصبح خير الدين قائد الأسطول السلطان الأعظم عين درغوث باشا رئيسا للبحرية. ينظر: مرمول كرفخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دط، دار المعرفة، الرياض، ج3، 1989م، ص:71.

(3)- **سنان باشا**: كان من القواد وكبار الوزراء في الدولة العثمانية، له آثار عظيمة بكثير من المدن التي دخلها أو ولي عليها كاليمن والشام ومكة والمدينة والقاهرة، توفي في 4 أفريل 1596م. ينظر: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص:23.

(4)- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص:51.

(5)- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص:59 .

وكذلك من أهم أسباب الصراع هو كون الحدود أحد أهم مظاهر السيادة[1] في جميع بلدان العالم في ذلك الوقت وكذلك الصراع والمناوشات بين قبائل البلدين على الحدود من أجل مناطق الرعي، وقد كانت تعرف الحدود بين البلدين بـ "الحدود غير الثابتة"، كونها محدودة بالقبائل الموالية لهذا النظام أو ذلك الحكم فالولاء، والتبعية لم يكن ثابتا وهذا ما أدى إلى عدم رسم حدود ثابتة بين البلدين. [2]

ونذكر كذلك بعض الأسباب السياسية التي أدت إلى شن غارات على تونس من قبل الجزائر، وهو محاولاتها زعزعة الاستقرار والأمن الجزائري وتهديدها للأمن داخل الإيالة الجزائرية.

وذلك بمساندتها لبعض التمردات في الجزائر، ومحاولة إشعال فتيل الحرب في الإيالة الجزائرية، حيث قام حمود باشا الحسيني، بتحريض ابن الأحرش ضد أتراك الجزائر، وتقديم الدعم والنصرة وتأييد ابن الأحرش من طرفه[3]، وقد أدخلت البلاد في فوضى لم تتوقف حتى قضي عليها عام 1807م. [4]

(1)- كما للحدود وظائف أخرى منها: وظيفة قانونية تتمثل في سيطرة مجموعة من التنظيمات والأشخاص داخل مجال محدود كالدولة، ووظيفة مالية تتمثل في فرض الضرائب على المنتجات الأجنبية وحماية السوق المحلية، ووظيفة رقابة الناس وأموالهم ومواطن تواجدهم، ووظيفة سياسية عسكرية تتمثل في فرض سيادة الحاكم على إقليم معين. ينظر: أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، دط، دار البعث، الجزائر، د س ن، ص:62 – 63.

(2)- أحميدة عميراوي: المرجع السابق، ص:19.

(3)- أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص :85 .

(4)- أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص :98.

وقد دخلت تونس في تحالفات من الدول المجاورة كالمغرب وطرابلس، من أجل القضاء على القوة والهيمنة الجزائرية مع ذلك لم يستطع هذا التحالف القضاء على قوة الجزائر وتكبدت الجيوش المتحالفة خسائر كبيرة. [1]

وما زاد الطين بلة هو تدخل الجزائر في الشؤون السياسية للإيالة التونسية وخلع بعض الحكام وتعيين حكام جدد على كرسي الحكم كتنصيب محمد باي عام 1686م أو علي باي حسين عام 1735م[2]، وهذه كانت أسباب الطرف الجزائري.

أما عن أسباب الطرف التونسي هي التجاوزات التي قام بها وكلاء الجزائر في تونس والحكام المعينين من طرفها والفساد الذي عم كالرشاوي وتكررها أكثر من مرة زاد في حجم الخلاف وزاد من توجهه.[3]

(1)- حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص:63.

(2)- صالح عباد، المرجع السابق، ص: 158 .

(3)- حمدان خوجة: المصدر السابق،:ص:126.

2/ التدخل الجزائري في الشؤون الداخلية لتونس:

إن حكام الجزائر لم يكتفوا كلما سمحت لهم الفرصة عن محاولة التدخل في الشؤون التونسية حتى نجحوا في القرن 18م، في فرض نفوذهم الذي تمثل بإقامة وكيل جزائري في تونس، وفي فرض بعض الشروط الاقتصادية عليها لصالح حكام الجزائر، ولعل مما سمح للجزائر بالتدخل في الشؤون التونسية طبيعة الحكم في البلدين، حيث كان الحكم في الجزائر غير مستقر في حين قامت في تونس حكومة الأسرة الحسينية منذ القرن 18م، فكان الصراع بين أفراد هذه الاسرة الحاكمة التونسية دخلت مناخا مناسبا للتدخل الجزائري.[1]

ففي أوائل القرن 18 تدخل **إبراهيم الشريف**[2] داي الجزائر أولا لصالح **علي باشا**[3] ابن أخي **الباي حسين**[4] وولي عهده قبل أن يرزق عمه بولده محمد، وعندما قرر الباي حسين أن يسحب من ابن أخيه ولاية العهد طلب هذا الأخير مساعدة جيش الجزائر في الوقت الذي كان معتقلا في الجزائر أي منذ 1729 حيث حاول عدة مرات إقناع الدايات الذين تداولوا على الحكم بالوقوف إلى جانبه ومساعدته للجلوس على كرسي العرش التونسي.[5]

(1)- محمد خير فارس: المرجع السابق، ص:109.

(2)- إبراهيم الشريف: ضابط تركي، حكم تونس من 1702 إلى غاية 1705 عمل جاهدا من أجل إعادة أمجاد الطبقة العسكرية، لكن تعرض لمعارضة شديدة من طرف الأهالي. انظر: الهادي الشريف: المرجع السابق، ص80. انظر أيضا: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص:94.

(3)- علي باشا: عين أمير أمراء تونس حيث دخلها سنة 1735 بعدما ربطت تونس بالجزائر، واشترط الجزائريون عليه دفع 200 ألف إيكو سنويا مع تأمين الجيش الجزائري بالمواد الغذائية، لكنه لم يوفي بوعده. انظر: عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص:487.

(4)- الباي حسين بن علي: مؤسس الأسرة الحسينية، حكم في سنة 1705 تبنى ابن أهيه علي وولي عهده قبل أن يرزق بولده محمد لكن فيما بعد سحب منه ولاية العهد مما دفع بعلي الثورة عليه. انظر: محمد الصغير بن يوسف: المرجع السابق ص:69.

(5)- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص:69.

لكنهم رفضوا ذلك بسبب اشتغالهم في المشاكل الداخلية وصد الهجوم الإسباني، وكذلك بسبب الاتفاق المبرم بين السلطتين منذ 1905 حيث كان الداي يرفض مجرد الحديث عن التعدي على تونس. لكن علي باشا بسبب قدرته استطاع علي باشا إقناع **الباي بوكمية**[1] بأن يتوسط له عند الداي **إبراهيم خوجة**[2] ويسمح له بالرحيل واستغل توقف باي تونس على دفع الإتاوات التي عليه كذريعة لإقناع الحاكم الجزائري ويتمكن من مساعدته في الانتقام من حسين بن علي،[3] ومن ثم استطاع الباي بوكمية أن يقنع الداي الذي وعده بتقديم المساعدة لعلي باشا وكان ذلك سنة 1735، حقق علي باشا غرضه وكسب العديد من الأتراك العثمانيين في صفه واستمر الجيش في طريقه نحو تونس بقيادة بوكمية باي بقسنطينة وعلي باشا في شهر ماي 1735 علما أن علي باشا أغرى الحكم الجزائري بالأموال والهدايا الكثيرة في حالة مساعدته من أجل عزل عمه.[4]

واستطاع الجيش الجزائري وكل القبائل المعارضة لباي تونس حسين بن علي التي قادها علي باشا بالهجوم على تونس وكانت المعركة لصالح الجزائريين وفتحت أبواب المدينة ودخل علي باشا إلى تونس وجلس على العرش الحسين عنوة في سبتمبر 1935. وأبرم علي باشا اتفاق مع بوحمية بأن يدفع له ضريبة سنوية وتقديم هدايا خاصة للباي بوكمية والخزناجي إبراهيم وحوالي 35 صندوقا من النقود الفضية.[5]

(1)- الباي بوكمية: تولى الحكم بايلك قسنطينة لمدة 15 سنة ابتداءا من 1713، من أعظم بايات قسنطينة بايلك الشرق، كان شجاعا كانت له علاقات ودية مع الرعية، كان الداي يكن له احترام كبير. انظر: عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص:490.

(2)- إبراهيم خوجة: هو باي قسنطينة وحاكم قسنطينة بايلك الشرق ضمت إيالة الجزائر في العهد العثماني امتد حكمه بين سنتي 1819-1820. انظر: https://ar.m.wikipedia.org/wiki تاريخ الدخول 16 مارس 2018.

(3)- محمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا: المرجع السابق، ص:50.

(4)- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشروق، 1982، ص:320.

(5)- عبد الله العروي: المرجع السابق، ص:69.

فعلم علي باشا بخبر الاستيلاء على مدينة الكاف فتأكد من الهزيمة فاعتصم مع ابنه محمد باي بالقصبة. فلولا خيانة البعض لما تمكن الجزائريون من الدخول إلى تونس، وتم إلقاء القبض على الباي التونسي وابنه في أوت 1756 استولى حسان باي على قلاع المدينة ودخل قصر البارودي، فالأمر الذي جمع بين حسان باي ومحمد هو القضاء على علي باشا واسترجاع محمد باي كرسي العرش لكن سرعان ما انقبلت الأمور إلى مناوشات وسببها هو عدم الاتفاق على اقتسام الغنائم والمعاملة البشعة للتونسيين مما زاد غضب محمد باي فساءت العلاقات بينهما.[1]

فتمكن الأمير علي من جمع أموال كبيرة للتخلص من الوجود الجزائري ودفع حقوق الجند وأمر باي قسنطينة بالرحيل من تونس وترك البلاد لأصحابها لأن مهمة الجيش الجزائري قد انتهت وبالتالي انتهى عهد التدخل الجزائري في قضايا تونس،[2] وذلك بعد إلقاء القبض على علي باشا وإعدامه في 25 سبتمبر 1956، وإعدام يونس كذلك في قسنطينة واعترف الحكم الجزائري لمحمد باي حاكما على إيالة تونس.[3]

(1)- صالح بن العنتري: المصدر السابق، ص:62.

(2)- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص:153.

(3)- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص:185.

وبعد تربع علي باشا على العرش تبرع بمبالغ مالية مساعدة لتجديد الأسطول الجزائري، وبعث لمهندسين مختصين لتقديم المساعدة ومن ثم نقول بأن العلاقات بين الإيالتين كانت حسنة لكن سرعان ما تغير الأمر وأصبح علي باشا يحاول إيجاد خدعة من أجل التخلص من قيود الاتفاقية المبرمة مع إيالة الجزائر بعد توليه الحكم وتوقف عن دفع الضرائب التي فرضت عليه في اتفاقية سمنجة سنة 1735 بالإضافة إلى الحراهية.

الداي بوصبع[1] لعلي باشا فجاءت الفرصة للانتقام منه وأصبح التحضير للهجوم الجزائري على تونس شرعيا وقانونيا.[2]

تمكن الجزائريون من الدخول إلى تونس مرة أخرى والتدخل من مساعدة أولاد حسين بن علي في استرجاع ملكهم الذي أخذه علي باشا بالقوة، وقد حاول محمد بن علي تهدئة الأوضاع لكن لم يجدي هذا نفعا وبدأ الطرفان يحضران للحرب وانطلق حسان باي[3] حاكم قسنطينة بجيش أغلبيته أتراك عثمانيين نحو الكاف ومعه فرق أخرى بقيادة علي بن حسين بالإضافة إلى قبائل عربية مناصرة لقضية أولاد حسين بن علي، ووصل الجيش الجزائري إلى الكف في يوم 6 جوان 1756 الذي كان يحتوي على 10 آلاف تركي وحاول حسان باي الدخول في مفاوضات مع حراس الكاف وطلب منهم فتح أبواب المدينة لكنهم رفضوا لأن حراسة الكاف كانت بزعامة القبائل العربية ولكن فيما بعد توقفوا عن الدفاع وفتحوا الأبواب واستولى حسان باي على مدينة الكاف يوم 22 جوان 1756.[4]

(1)- **الداي بوصبع**: نصب دايا على إيالة الجزائر (1754-1766) كان ظالما ومتغطرسا أكثر سابقية، كان يصدر أحكاما عشوائية، لقب ببوصبع لأن يده اليسرى ينقصها أصبع الخنصر. انظر: مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص:229.

(2)- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص:148.

(3)- حسان باي: تولى حكم بايلك الشرق قسنطينة 1736، تميز بالشجاعة شارك مع بوحانك في الحملة العسكرية اتجاه الكاف، ولقب بأزرق عين. انظر: صالح العنتري: المصدر السابق، ص:113.

(4)- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص:149.

3/ أبرز المعارك بين الجزائر وتونس خلال القرن 18:

أ- حصار قسنطينة في جويلية 1700:

تحالف مراد باي مع **مولاي إسماعيل**[1] وبالتفاهم مع طرابلس العرب واخترقوا الحدود الجزائرية لمهاجمة الشرق الجزائري، فسار مراد باي في اتجاه قسنطينة في جويلية 1700 ثم فرض الحصار على المدينة مدة 5 أشهر، وتعود أسباب هذه الحملة إلى رفض داي الجزائر هدايا مراد باي، وكذلك للانتقام من باي قسنطينة.[2]

لكن مساعي مراد باي كللت بالفشل فور وصول قوات من مدينة الجزائر والتقى الجمعان في جوامع العلمة بالقرب من مدينة سكيف فبمجرد ما اشتبك الجيشان فر خليل باي بفرسانه بعد أن تأكدت الهزيمة ومقتل العديد من جنوده ووقوع الآخرين في قبضة جيش الجزائر وفر مراد باي هو بدوره وسار مسرعا إلى تونس خوفا من ملاحظة الحاج مصطفى له، ورغم نصائح السلطان العثماني لمراد باي إلا أن سياسته وسوء سيرته أودت بحياته وتم قتله من طرف أنصار يوم 8 جوان 1702، وحل محله إبراهيم الشريف وتوج نفسه بايا على تونس نظرا لما بذله من جهود لإبرام السلم بين الإيالتين فكان له ذلك وتولى الحكم.[3]

وتم إبرام معاهدة بينه وبين الجزائر سنة 1702 يدفع بموجبها إتاوة سنوية للجزائر لكن هذا الاتفاق لم يصمد طويلا بسبب توقف الباي عن دفع المبلغ المقرر سنويا، هذا ما جعل الداي الحاج مصطفى يقوم بالهجوم على تونس وإعلان الحرب على إبراهيم الشريف.[4]

---

(1)- مولاي إسماعيل: حكم الغرب بعد صراع مع إخوته على السلطة لمدة أربع سنوات إلى أن استتب له الأمر في الأخير سنة 1756 إلى غاية 1822، حكم في الفترة الأولى بحزم وثبات وتمكن من توطيد أركان سلطانه في كل أنحاء المغرب، لكن مع بدايات 1811 تجلت تداعيات انهياره لصراعه مع شراردة الجنوب، حيث تم أسره مرتين الأمر الذي أفقده هيبته. انظر: محمد علي عامر ومحمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، لبيبة، د.ط، دمشق، سوريا، د.س، ص:120.

(2)- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص:198.

(3)- صالح عباد: المرجع السابق، ص:148.

(4)- Smida Guelouze, Mesmoudi : histoires de la Tunisie, les temps modernes, centre industriel du livre, 1ere édition, 1983, Tunis, P:53.

ب- حصار منطقة الكاف 22 أفريل 1705: عندما توقف باي تونس إبراهيم الشريف عن دفع الضرائب المفروضة عليه من طرف الجزائر قرر الداي الهجوم على تونس علما أن باي تونس هو المتسبب الوحيد في هذه الحرب، بالإضافة إلى رفضه بيع القمح للجزائر أثناء حاجتها وفضل بيعه للأوروبيين، وهذا ما جعل باي تونس يستحق التأديب، رغم أن داي الجزائر حاول الصلح معه وإعطائه فرصة لتصحيح أخطائه إلا أن باي تونس رفض وأعد العدة للحرب مع الجزائر وتم حصار منطقة **الكاف**[1] في 22 أفريل 1705[2] فدخل الجيش الجزائري إلى تونس بقيادة الحاج مصطفى والتقى الجيشان في مدينة الكاف في 11 جويلية 1705، ودافع الجند التونسيين بكل قوة لكن تم إلحاق الهزيمة بإبراهيم الشريف الذي تخلت عنه طائفة من أنصاره ووقع في الأسر، وتم تنصيب حسين بن علي بايا على تونس في 15 جويلية 1705.[3]

ج- حرب أوت 1705: بعد تولي حسين بن علي زمام الحكم في تونس صار هناك خلاف بينه وبين الداي مصطفى أدى ذلك إلى حرب حينها دخلت القوات الجزائرية من تونس وتمركزت في الحدود بمنطقة الكاف لمحاولة الدخول من جديد إلى تونس رغم أن الوفد التونسي حاول إقناع الداي بإصدار أمر جلاء القوات الجزائرية من منطقة الكاف والرجوع دون حرب،[4] علما أن باي الجزائر نيته سليمة ولا يريد سفك الدماء وإنما هدفه الدخول إلى تونس لنشر السلم والأمان، لكن الباي حسين طلب من داي الجزائر بدفع أموال تعويضا للخسائر التي نتجت منن جراء حربه مع إبراهيم الشريف لكن التفاوض بات مستحيلا وذلك بسبب عدم ثقة الباي حسين بن علي في داي الجزائر.[5]

---

(1)- **مدينة الكاف:** تقع في الشمال الغربي من تونس تشرف على آفاق فسيحة الأرجاء منها سهول الشرس وزنقور الأربص، حملت مدينة الكاف عبر التاريخ عدة أسماء منها نسمة تزخر بعدة معالم أثرية وعدة زوايا، وهي من المدن المحصنة في الإيالة تحتوي على أربعة أبواب. انظر: Alphonse Dilham ; histoire abrégée de la régence de tunis, imprimerie Balitout Questout Questroy et cie, Paris, 1866, P201.

(2)- محمد صالح بن العنتري: المرجع السابق،ص: 64.

(3)- عبد المجيد بن عمر العياري: مكثر عبر التاريخ (1705-1755)، ج2، د.ط، 1997، ص:32.

(4)- حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص:180.

(5)- أحمد بن عامر: تونس عبر التاريخ، من أقدم العصور إلى إعلان الجمهورية، ط1، تونس، 1960، ص250.

انطلق الجيش الجزائري إلى تونس في 28 أوت 1705 واستمرت الحرب لمدة شهر لكن الجيش الجزائري انهار وطلب وقف القتال لكن الديوان التونسي رفض ذلك علما أن الديوان التونسي اشترط على الجيش الجزائري الرجوع إلى الجزائر لكن الداي رفض ذلك وواصل القتال، حينها تدخل زعيم قبيلة النمامشة وطلب من الداي الجزائري التراجع لأن الجند لا طاقة لهم لخوض هذه الحرب.[1]

فرحلت القوات الجزائرية من تونس إلى الجزائر تاركة كل ما لديها وفور وصولهم إلى الجزائر وجدوا نيران الثورة مشتعلة منهم من طرف قبائل بني عباس لأن الدي تسبب في خسائر مادية وبشرية جراء هذه الحرب فألقي عليه القبض، وأعدم وصودرت كل أمواله، وجاء بعده الداي حسن خوجة (1705-1707) وقام بمعاقبة عائلة الداي السابق للاعتراف بمكان وجود الأموال التي أخفاها الداي مصطفى، فاستغل الدي محمد خوجة الفرصة وتمرد بغية استرجاع سلطة الدايات في تونس، فتولدت فتنة في تونس[2] لكن أطفأ نيرانها الداي حسن بن علي وانتهت الحرب واستقر الأمن بين الإيالتين وفتح باب التفاوض وتم إجلاء القوات الجزائرية كليا من منطقة الكاف وقاموا بتقديم تعويضات مقابل خسائر الحرب. [3] كما أطلق سراح إبراهيم الشريف وعندما نزل بالأراضي التونسية تلقاه جند حسين بن علي وقضوا عليه عندما نزل.[4]

(1)- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص:84.

(2)- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص:89.

(3)- حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص:180.

(4)- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص:201.

د- معركة سمنجة أوت 1735:

بدأت التحركات الحربية بين تونس والجزائر واستمر الجيش الجزائري في طريقه نحو تونس بقيادة بوكمية باي قسنطينة وعلي باشا في ماي 1735 تجهيزا للهجوم على تونس بسبب رفض الباي التونسي دفع المبلغ المعتاد حيث انضمت كل القبائل المعارضة لباي تونس حسين بن علي وقادها علي باشا، تم التقاء الجيشان بالقرب من واد مليانة في منطقة سمنجة،[1] علما أن المعركة دامت 16 يوما، فهذا الهجوم كان مفاجئا بالنسبة للتونسيين ولم يكن في الحسبان، لكن فيما بعد تحقق هذا الهجوم بصفة رسمية.

وقد تخلت القبائل العربية عن الباي حسين بن علي بانسحابها سرا وانضمامها إلى الطرف الجزائري وهذا ما زاد من تخوف التونسيين وانهيار نفسيتهم وإحساسهم بالخسارة، وهذا مما سهل للباي بوكمية التنقل إلى الضفة الأخرى من الواد[2] المتواجد فيها الجيش التونسي واصطدم الجيشان من جديد وكان النصر حليفا للجزائريين وتراجع الحسين بن علي ودخول علي باشا إلى تونس في سبتمبر 1735 وتعهد بدفع ضريبة سنوية واحتواء الجزائريين على الغنائم المتحصل عليها بعد النصر وتم تقديم هدايا خاصة للباي بوحمية.[3]

وبعد نهاية هذه الحرب تم تنصيب علي باشا استيلاءه على الحكم في تونس واستقر الباي حسين ب**القيروان**،[4] إلى أن رحل الجيش الجزائري من منطقة الكاف ثم توجه بعدها إلى الجنوب، والتحق به ابنه علي باي من أجل تقديم الدعم العسكري، وأعلن سكان مدينة القيروان ولاءهم لعلي باشا.[5]

---

(1)- Maggill M. Thomas, nouveau voyage à tunis, Paris, 1811, P25.

(2)- عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص:487.

(3)- محمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا: المرجع السابق، ص:50.

(4)- **القيروان**: مدينة أصلية أسسها عقبة بن نافع رضي الله عنه على بعد 36 ميلا من البحر المتوسط و100 ميل من تونس. انظر: حسن الفران: المرجع السابق، ج2، ص:87.

(5)- حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص:180.

هـ- حصار مدينة الكاف سنة 1746:

تحركت سنة 1746م حملة جزائرية في اتجاه مدينة تونس، حيث قاد الداي في السادس مارس سنة 1746م جيشا يتألف من أربعة آلاف جندي من الأتراك وعدد كبير من الأهالي، واتجه إلى تونس وحاصرها، وسبب هذه الحملة هو تأخر علي باشا عن دفع الضرائب المفروضة عليه سنويا، وكذلك مساعدة أبناء حسين بن علي في استرجاع حكمهم،[1] فقد قام علي باشا بتحصين المدينة وحراستها بحوالي ستمائة تركي وفي نفس الوقت انطلق الجيش الجزائري بقيادة أحمد آغا ضابط الجيش، ومن جهة أخرى كان الباي بوحانك جاهز للقضاء على ضابط الجيش، وذلك عن طريق الحيل والمكائد والدهاء السياسي لديه، وهذا ما جعل الداي يكلفه بهذه المهمة السرية.[2]

ولكن هذه الحملة أخفقت أمام أسوار مدينة الكاف وذلك بسبب الخلافات التي وقعت بين بوحانك وأولاد حسين بن علي من أجل قيادة الجيش، مما أثار غضب بوحانك وقرر الرجوع بجيشه إلى قسنطينة،[3] ويمكن القول ان سبب تراجع الجيش الجزائري كان بأمر من الداي، وكذلك تخاذل باي قسنطينة ومنعه الإمدادات والذخائر الحربية لمحاصرة قلاع الكاف وهذا ما أدى إلى التراجع بعد خيبة الأمل.

وهذا ما أدى إلى إجلاء القوات الجزائرية من منطقة الكاف في سبتمبر 1746م وعودة السلم من جديد بين الإيالتين.[4]

(1)- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص:86.

(2)- عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص:508.

(3)- حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص:182.

(4)- Ben Youssef Mohamed Seghir, Mechraa El Melki, chronique Tunisienne (1705-1771), ouvrage traduit en Français par Victor Serreset Mohammed Lasram, 2e ed, Ed. Bouslama, Tunis, 1978, P461.

و- الهجوم الجزائري على منطقة الكاف 1756:

انطلق الجيش الجزائري من قسنطينة نحو الكاف بزعامة حسان باي مرافقة بفرق عسكرية أغلبهم أعداء علي باشا بقيادة الباي صعلي بن حسين وبينما كان الجيش في طريقه إلى الكاف وصل أمر التوقف على الهجوم من طرف الداي بوصبع وسبب ذلك القرار هو أن هذه الحرب تعد خسارة وضياعا للطرفين وقد اضطر حسان باي تنفيذ هذا الأمر لكن الأمير التونسي صمم على عدم التراجع وتمكن من التأثير على حسان باي وإقناعه بهذا الهجوم[1] فأذن الداي بالهجوم من جديد وقد وصل الجيش الجزائري إلى منطقة الكاف يوم الأحد 6 جوان 1756 حيث كان يحتوي على 10 آلاف تركي وطلب حسان باي من حراس المدينة فتح الأبواب تجنبا للخسائر البشرية، ففي البداية رفضوا ذلك لكن فيما بعد فتحوا الأبواب واستولى حسان باي على مدينة الكاف يوم 22 جوان 1756[2] فعلم علي باشا بخبر الاستيلاء على الكاف فتأكد من الهزيمة وانتشرت الفوضى واستمرت الأوضاع لصالح الجزائريين وتمكنوا من الدخول إلى تونس بمساعدة الجند الأتراك عن طريق الخيانة من طرف بعض الأتراك وألقي القبض على الباي التونسي وابنه في 31 أوت 1756.[3]

وفيما بعد قام حسان باي بالدخول إلى قصر البارودي ونهب كل ما فيه وهذا ما أوضح غضب الأمير التونسي ورفض ذلك الأسلوب الغير لائق وحدثت مناوشات بين الطرفين بسبب المعاملة البشعة للتونسيين من طرف الجزائريين ونهب أموالهم، وهذا ما أدى إلى سوء العلاقات بينهما واعتصام محمد باي في قصر البارودي وأمر حسان باي بمحاصرة القصر لكن محمد باي طلب المساعدة من أخيه ونجح في قمع التمرد وأجبر حسان باي قسنطينة على الرجوع إلى الحدود مقابل دفع مبالغ مالية.[4]

(1)- حمودة عبد العزيز: كتاب الباشي، تحقيق الشيخ محمد ماضور، ج2، متمم السيرة، الدار التونسية للنشر، 1970، ص:65.

(2)- ابن أبي الضياف، ج2، المصدر السابقن ص:150.

(3)- صالح بن العنتري: المصدر السابق، ص:61.

(4)- حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص:183.

وتمكن الأمير علي بجمع الأموال من أجل التخلص من الوجود الجزائري وترك البلاد لأصحابها، ومن أبرز نتائج هذه الحرب إلقاء القبض على علي باشا في 25 سبتمبر 1756 وإعدامه، وكذلك إعدام يوسف في قسنطينة وتم الاعتراف بمحمد باي حاكما على إيالة تونس مع إبقاء التبعية للجزائر إلى غاية سنة 1782.[1]

(1)- محمد صالح مزالي: المرجع السابق، ص:25.

4- موقف الدولة العثمانية من الصراع بين الجزائر وتونس:

بالرغم من أن البلدين كانا تابعين للدولة العثمانية فإن العلاقات بينهما لم تكن ودية، يسودها العداء والصراع، وبصورة عامة يمكن إرجاع أسباب هذا العداء إلى الصراع على النفوذ بين حكام النيابتين، وإلى مشاكل الحدود التي كانت تؤدي إلى عمليات غزو واسعة، وربما كان هذا الصراع امتداد لتقاليد تاريخية، فقبيل الفتح العثماني كانت الحكومات القائمة في تونس تسعى على الدوام لإخضاع المغرب الأوسط لنفوذها أو احتلالها، وكانت تصطدم مع القوى المحلية أو مع القوى المغربية التي كانت هي الأخرى تحاول بسك نفوذها أو سيادتها على المغرب الأوسط،[1] ولكن دخول الأتراك إلى الجزائر قلب هذه الأوضاع التاريخية، فقد انتقلت الجزائر التي أصبحت قاعدة الحكم العثماني في شمال إفريقية إلى وضع الهجوم وصارت تسعى إلى إخضاع كل من تونس والمغرب للسيادة العثمانية وبالتالي لنفوذها، وإذا كانت الجزائر قد فشلت في إخضاع المغرب فإنها نجحت لمساعدة قوات عثمانية للقضاء على الدول الحفصية، وإخضاع تونس حتى أصبحت تونس باشوية مستقلة تتبع مباشرة للسلطان العثماني.[2]

وقد حاولت الدولة العثمانية أكثر من مرة التدخل لتسوية النزاعات التونسية الجزائرية دون جدوى.[3]

(1)- محمد خير فارس: المرجع السابق، ص:108.

(2)- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص:33.

(3)- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص:114.

قد كانت الدولة العثمانية تتوسط في النزاع بين الجزائر وتونس مذكرة بالوشائح الروحية التي تربط فيما بينهما، فكان البايات والدايات يلبون هذا النداء بدافع من أنفسهم أحيانا وأحيانا أخرى مضطرين تحت ضغط الرأي العام الإسلامي.

وتدخل السلطان محمود لعقد الصلح بين النيابتين لكن الداي علي رد على مبعوث السلطان «نحن أسياد في بلدنا ولا نتلقى أوامر من أحد» فأمر السلطان بحجز السفن الجزائرية والرعايا الجزائريين وأبلغ الداي أنه إذا لم يطع أوامر السلطان في الحال فإنه سيرسل أسطوله ليأتيه برأس الداي العاصي، فاضطر الداي إلى الامتثال وعقد الصلح، ولكن الصلح لم يطل ذلك لأن باي تونس الذي شجعته الاضطرابات رفض تنفيذ أحد شروط الصلح وهو تدمير حصون الكاف، واستمر القتال في سنة 1820.[1]

فقد أراد الباب العالي ان يزيل سببا من أهم أسباب النزاع بين الجزائر وتونس ألا وهو مشكلة الحدود، فتوسط لعقد اتفاقية بينهما لتخطيطها كان أولها وآخرها اتفاقية سنة 1821م، وهي أقرب إلى أن تكون اتفاقية حدود دولية منها إلى تخطيط حدود إدارية بين الولايتين.[2]

وكان هدف الباب العالي تقوية الصف الإسلامي العثماني بالولايتين في الوقت الذي كان يواجه فيه تحرشات من كل جهة على الرغم من أن حدة النزاع قلت بين الإيالتين إلا أن العلاقات استمرت مشوبة بالحذر.[3]

(1)- ابن أبي الضياف، ج2، المصدر السابق، ص:37.

(2)- صلاح العقاد: المرجع السابق، ص:34.

(3)- أحمدية عميراوي: المرجع السابق، ص:65.

وعموما فإن أهم ما يمكن استخلاصه من النظر في هذه الأسباب التي تحكمت في توتر العلاقات بين البلدين والتي تشير بأن سبب التدخلات الجزائرية في تونس تكمن في ضمان مسايرة حكام تونس لها.

فالعلاقات السياسية التي ربطت بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، وهي التي اتسمت أحيانا بحروب دامية وأحيانا أخرى توطدت العلاقات في إطار التعاون العسكري مع الدولة العثمانية، وكان لكل هذا تأثيره على أوضاع الإيالتين التي عرفت تدهورا شديدا خاصة في المناطق التي كانت حلبة لمختلف المعارك، ونعني بذلك مدن قسنطينة والكاف، وقد مس هذا التأثير حكام الإيالتين وتسبب في وصول حد السيف إلى رقاب العديد منهم كعلي باي والحسين بن علي وإبراهيم الشريف في الإيالة التونسية، وفي الجزائر شعبان داي والحسين بن صالح باي ويبقى لانشغال الدولة العثمانية بأزماتها التي تتخبط فيها إبان هذه الحقبة تأثيره في معالجة الاستانة لواقع العلاقات السياسية بين البلدين.

وتبقى المواجهات التي تمت بين حكام الإيالتين لا تعبر أبدا عن إرادة ونوايا شعبي الإيالتين المجندين للسلم والتعاون فيما بينهما والتي تترجم في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي جمعتهما.

الفصل الثالث:

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين تونس والجزائر خلال القرن 18م

1- العلاقات الاقتصادية.

2- العلاقات الاجتماعية.

3- العلاقات الثقافية والدينية.

تمثلت العلاقات الاقتصادية بين الإيالتين في المبادلات التجارية[1] التي تجدها قائمة منذ انتصاب الحكم العثماني، حيث تعتبر أحد أوجه النشاط الذي يعتمد على التبادل سواء بين الأفراد وتسمى المقايضة، أو بين الدول وتسمى علاقات تجارية أو تبادلات (تصدير واستيراد)، وتوطدت أكثر بعد ظهورهما كمركزين جهاديين مغاربيين ينشطان ضمن المدار العثماني، فالصلات الاقتصادية بين الشعبين تبرز لنا حقيقة التواصل والترابط القائم بين الشعبين على الرغم من كل النزاعات السياسية، فتلك المواجهات والتوترات التي تقوم بين الفينة والأخرى بين حكامهما لم تقف حائلا في وجه وإرادة شعبيهما في إثبات صلة التواصل بينهما عبر هذا المجال الحيوي، أما فيما يخص الروابط الاجتماعية بين شعبي الإيالتين فقد تم الحديث عن العلاقات بين قبائل الحدود، أيضا تجسدت في التشابه في الاحتفال بالمناسبات خاصة منها الدينية.

1- العلاقات الاقتصادية:

أ- في المجال التجاري:

إن موقع المدينتين المنفتح على البحر المتوسط، وعلى القارات الثلاث، قد عرف حركة تجارية دؤوبة بين ضفافه، وتصب فيه مختلف السلع والبضائع خاصة بعد ازدهار التجارية الأوروبية مع المشرق.[2]

فالموقع الجغرافي الممتاز لمدينتي الجزائر وتونس قد ساعدهما على التحكم في جزء واسع من الحوض الغربي للبحر المتوسط وأجزاء واسعة من حوضه الشرقي.[3]

(1)-انظر الملحق رقم: 02يمثل المبادلات التجارية بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية،انظر:محمد العربي الزبيري:المرجع السابق ،ص159.

(2)-عاطف عيد: المرجع السابق، ص8.

(3)-كمال بن صحراوي: **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات**، د.ط، بيت الحكمة، الجزائر، 2008، ص131.

فمدينة الجزائر تقع على نقطة الوسط للطريق البحري الواصل بين بنزرت وجبل طارق، وتبعد جزيرة **مايوركا** [1] وقد كان لهذا الموقع أثر كبير على الحوادث التاريخية خلال العهد العثماني، والذي كان نقطة انطلاق لأشهر الحملات الإسبانية على مدينتي الجزائر وتونس من السواحل الشرقية لشبه الجزيرة إيبيريا.[2]

إن موقع مدينة الجزائر ساعد على الاشتغال في البحر، حيث مكنها من مراقبة الخطوط الملاحية الرئيسية الرابطة بين جبل طارق من الغرب ومضيق تونس صقلية من الشرق،[3] فقد أصبحت مدينة الجزائر بمثابة رمز حقيقي لقاعدة الطليعة العثمانية التي أقيمت في مواجهة البلدان المسيحية،[4] أما مدينة تونس فتقع على الطريق الجنوبي من مضيق صقلية،[5] ومن خلال الموقع الجغرافي لمدينتي الجزائر وتونس يظهر التكامل بين خطوط الاتصال البحري بينهما، وهذا خلق صلات تجارية نشيطة بين المركزين الجهاديين، وصراعا مستمرا مع أوروبا، وأكسب المراكب الجزائرية والتونسية قوة ومكنتها من الهجوم والانسحاب إلى أقرب مركز جهادي وهي سالمة غانمة.[6]

(1)–**مايوركا**: هي إحدى جزر البليار بحوالي 300 كم عن ميناء مدينة الجزائر، وأقرب رأس من اليابس الأوروبي إليها هو رأس دولانا بشبه الجزيرة الإيبيرية والتي تبدو محتضنة للطرف الغربي من الحوض الغربي للبحر المتوسط. ينظر: عبد القادر حليمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، ط1، المطبعة الأولى، دار النهضة لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص39.

(2)– المرجع نفسه، ص39.

(3)– نفسه، ص40.

(4)–عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص18.

(5)–وليام سبنسر: المصدر السابق، ص17.

(6)–المصدر نفسه، ص50.

أما خلال القرن 18م قد تضاعف عدد المعاهدات بين المدينتين وفرنسا، حيث تم عقد حوالي ثمان معاهدات مع مدينة الجزائر وإحدى عشرة معاهدة مع تونس، لم تتطرق هذه المعاهدات إلى القرصنة ما عدا معاهدة 16 جانفي 1764 بين فرنسا وتونس، ويرجع ذلك أساسا إلى أن المدينتين قد وجدتا مداخيل جيدة من الرسوم الجمركية التي تدفعها الدول الأوروبية المتعاقدة معها، والتي سدت جزءا كبيرا من مصاريف الإيالتين ووجدت فيها تعويضا ملائما لنشاط القرصنة.[1]

خاصة بعد ازدهار التجارة بين مدينتي الجزائر وتونس مع الدول الأوروبية التي كانت تمر بفترة الثورة الصناعية، واتخذت من المغارب مجالا وسوقا لتفريغ منتجاتها، وبالتالي فإن الجهاد البحري كنشاط اقتصادي قد تراجع كثيرا وتفككت دواليب تجاريته بين مراكزه، التي تحولت إلى مجرد أسواق استهلاكية للسلع الأوروبية، وإنه انطلاقا من النصف الثاني من القرن 18 أخذت الأنشطة الاقتصادية للإيالتين تدخل في الأفول التدريجي والحتمي.[2]

تميزت العلاقات التجارية بين مدينتي الجزائر وتونس بضعف المبادلات، ويعود ذلك أساسا لتشابه الإنتاج الزراعي والحيواني وتماثله بين المدينتين باعتبارهما مركز للإيالتين، فقد كانت كل مدينة مركزا لتجمع مختلف منتجات الإيالة والمتمثلة أساسا في الجلود، القمح، الزيت، الأغنام والأبقار والإبل، وهذا يعود أساسا لتشابه المناخ والتربة والتضاريس.[3]

(1)-صالح عباد: المرجع السابق، ص208.

(2)-يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص241.

(3)- Venture de paradis:op.cit, P17.

وبناء على ذلك فقد مرت العلاقات السياسية والاقتصادية بين المدينتين خلال الفترة المدروسة بمراحل مد وجزر، خاصة وأن مدينة تونس ظهرت كمركز مهم في المغارب نافس مدينة الجزائر من حيث المكانة السياسية والاقتصادية بالنسبة للأتراك العثمانيين.[1]

فقد كانت مدينة تونس أكثر المدن المغاربية استقطابا للتجار المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وهذا لما عرف عن حكامها من علاقات جيدة مع الأتراك والمسيحيين، وبالتالي لم يكن الجهاد البحري موردا اقتصاديا أساسيا في اقتصاد المدينة عكس ما كان جاريا في مدينة الجزائر.[2]

فقد عمل الأتراك العثمانيون على تفعيل العلاقات التجارية بين المدينتين من خلال الجهاد البحري، وعملوا على كسب ولاء وخدمات القباطنة المسلمين من جميع أطراف البحر المتوسط، وذلك من خلال إذكاء روح الجهاد،[3] وبالرغم من وجود بعض الخلافات التي كانت تحدث بين رياس المدينتين بين الحين والآخر بسبب تضارب المصالح التجارية.[4]

إن الجهاد البحري في مدينة تونس لم يكن يعرف تبعية لأسطول الجزائر من حيث العدة والعتاد فحسب، بل تعدى إلى التنظيم الإداري والاستحكامات العسكرية.[5]

(1)-يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص241.

(2)-وليام سبنسر: المصدر السابق، ص11.

(3)- المصدرنفسه، ص12.

(4)-عثر بالقنصلية الفرنسية بتونس على وثائق تشير إلى نزاع تجاري حدث سنة 1624م بين أحد رياس البحر الجزائريين ومراد جينوقيزي من رياس تونس. ينظر: المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، ج2، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص286.

(5)-مذكرات أحمد الشريف الزهار،المصدر السابق، ص96.

تعرضت كل من مدينتي الجزائر وتونس طيلة القرن 18م إلى عدة أمراض وأوبئة انتقلت أغلبها عن طريق القوافل والسفن، أصرت بشكل مباشر على الحياة الاقتصادية بالمدينتين، حيث تسببت في هلاك أعداد كبيرة من السكان وأضرار فادحة بالحياة الاقتصادية نتيجة تراجع النشاط التجاري وركوده. ومن الأوبئة والأمراض التي اجتاحت المدينتين عدة مرات مرض الطاعون الذي ضرب مدينة الجزائر عدة مرات،[1] وكذلك مدينة تونس، وكثيرا ما كانت هذه الأمراض تنتقل عن طريق التجار والبحارة المتنقلين بين المدينتين.[2] الأمر الذي أثر سلبا على النشاط البحري القرصني للمدينتين من خلال الشلل المؤقت الذي ضرب الحركة التجارية بين هذين المركزين الجهاديين.[3]

(1)-ابن أبي دينار: المرجع السابق، ص230.

(2)-مذكرات أحمد الزهار: المصدر السابق، ص96.

(3)-عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص150.

1/ المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس:

لعب القرب الجغرافي بين القطرين الجزائري والتونسي دورا في تنشيط حركة التبادل التجاري، وكذا حركة القوافل المستمرة بين الإيالتين الجزائرية والتونسية وهذا ما أدى إلى كثرة التعاملات الاقتصادية والتي غلب عليها طابع المقايضة، حيث وجدت الكثير من السلع الجزائرية طريقها إلى الأسواق التونسية.[1]

إن انتصارات الجزائر المتتالية على تونس جعلها ترمي الرعب في نفوس حكامها وأهاليها، ونجاحها في التدخلات السياسية وتنصيب حلفائها على عرش تونس، ودعمهم عسكريا كان شريطة امتيازات اقتصادية وتسهيلات تجارية لأرباب العمل الجزائريين خاصة في الفترة الممتدة بين 1756-1807 والتي كانت فيها تونس خاضعة للحكم الجزائري.[2]

كانت التجارة الخارجية للجزائر البرية والبحري تحت رقابة الديوان حيث الداي هو المحدد للمواد التي تصدر وتستورد، ولم يكن يسمح لأصحاب القوافل المتنقلة بالعبور حتى يتم دفع الرسوم الجمركية وكذا بالنسبة للموانئ وتمثلت الصادرات الجزائرية عن طريق البر لكل من الإيالة التونسية وإيالة طرابلس في رؤوس الأنعام من بقر وغنم وإبل، والمراسلات بين الإيالتين دالة على ذلك.[3]

(1)-عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب من القرن العاشر هجري إلى القرن السادس عشر ميلادي**، د.ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2008، ج2، ص401.

(2)-ابن أبي دينار: المرجع السابق، ص235.

(3)-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص402.

وقد تحسنت التجارة الخارجية للجزائر بتحسن العلاقات السياسية مع الدول (الولايات المتحدة، إسبانيا)، كما لعب الجهاد البحري دورا في المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس حيث كان الاتفاق السائر بين بحارة الجزائر وبحارة تونس واتحادهم له تأثير كبير على العلاقات التجارية للبلدين.[1]

حيث كان للبحارة الجزائريين بالاشتراك مع بحارة تونس يستولون على السفن التي كانت تعبر البحر الأبيض المتوسط، ويتم تقاسم الغنائم بين البلدين،[2] والحملات المشتركة للأسطولين الجزائري والتونسي سواء كانت ناجحة أو فاشلة، فهي مظهر من مظاهر التبادل التجاري بين الإيالتين ليس فقط من خلال اقتسام الغنائم وإنما تمثلت هذه الحملات في بعدها التجاري أو ما يعرف في اقتصاد اليوم الشركات المساهمة.[3]

أما فيما يتعلق بالنشاط التجاري على المستوى الشعبي، فقد أخذت منطقة بايلك الشرق قسنطينة حصة الأسد في صلات الإيالة الجزائرية التجارية بتونس، وذلك راجع للتقارب الكبير بين قسنطينة والإيالة التونسية وانفتاح حدودها على الغرب التونسي، وكذا ولاؤها للصلات التاريخية التي كانت موجودة إبان العهد الحفصي حيث كانت قسنطينة خاضعة لحكم تونس.[4]

(1)-جون وولف: « **رياس البحر**» **مجلة الدراسات التاريخية**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، العدد 3، 1987، ص592.

(2)-المنور مروش: المرجع السابق، ص314.

(3)-أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص31.

(4)-أحميدة عميراوي: المرجع السابق، ص12.

الشيء الذي يدل على كثافة حجم التواصل الاقتصادي بينهما في هذه الفترة، وهو ما سيجعل دراستنا مركز على بايلك الشرق خاصة في نشاطه الاقتصادي مع تونس، القائم على تجارة القوافل التي كانت تنشط من تجارة الموانئ التي تسيطر عليها المبادلات الأوروبية، وكان رأس المال المستعمل فيها يبلغ 3 ملايين، حيث تجارة القوافل مع تونس تستعمل ستة ملايين.[1]

كانت القوافل بين قسنطينة وتونس تنطلق من مراكز أساسية وتعود إليها مجددا أهمها: إقليم الشرق الجزائري قسنطينة بما يضمه من مدن من الجنوب الجزائري تدخل ضمن إطاره الإقليمي كمدينة **الوادي**،[2]**وتوقرت**،[3]**وورقلة**.[4] وكانت هذه المراكز وما يقابلها في تونس على درجة عالية من الدقة والتنظيم، حيث كان التاجر يجد يوميا قافلة يسافر معها ذهابا وإيابا، حيث كانت القوافل المتجهة من بايلك الشرق إلى تونس تحمل الصادرات التالية: التمور من مدينة الوادي والتبغ بنوعيه الرطب والقوي الذي يعتبر من أهم المحاصيل التجارية التي كانت تصدر بشكل كبير إلى تونس وليبيا.[5]

---

(1)-محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص155.

(2)-**مدينة الوادي**: كانت في القديم تسمى الظاهرة لكونها أول قطعة من الأرض ظهرت بعد نفطة، حيث انحصر عنها ماء الطوفان، ثم صارت تسمى أرض سوف، قيل لأنها كانت محلا لأهل الصوفة ممن انقطعوا للعبادة فيها، وقيل لأن أهلها الأولين يلبسون الصوف من أغنامهم، وقيل نسبة إلى رجل عالم صاحب حكمة يسمى ذا سوف، كما أن سوف في اللغة تعني العلم والحكمة، وهناك من يقول أن النفط بربري "أزوف" والتي تعني الوادي، وهنا من يردها إلى سوف البصرة الذين سكنوا المنطقة وسموها باسم موطنهم الأصلي، وعموما فالتسمية قديمة والأغلب أنها إلى الكثبان الرملية. هذا عن معنى سوف، أما الوادي فنسبة إلى واد الجردانية الذي تجري قديما في المنطقة وما زالت إلى الآن بعض مجاريه موجودة. ينظر: إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية**، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2005، ص144.

(3)-**توقرت**: مدينة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في أبواب المدن، وهي مسورة بسور من الطوب والطين، ما عدا ما يقع منها على مقربة صخور عظيمة تقوم بحمايتها، وهي تبعد عن المتوسط بنحو 330 ميلا. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص35.

(4)- يسمها الوزان "وركلة" وهي مدينة عتيقة بناها البرابرة في صحراء نوميديا وأحاطوها بأسوار من الأخر، وشيدوا فيها منازل جميلة، يوجد بضواحيها كثير من النخل تتخلله القصور المنيعة والقرى المحصنة. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص136.

(5)-محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص49.

وكذا المنتوجات الصوفية من برانس وجبب صوفية والتي كان لها رواج في السوق التونسية.[1] وكذا الجلود المدبوغة والشواشي الجزائرية التي كانت تحظى بطلب كبير للاستعمال اليومي، كونها أرخص من الشواشي التونسية ذات الجودة العالية، وكذا الحديد الصلب والسمن والجوز، وحظيت تونس كذلك بتجارة نشطة في إقليم بايلك الشرق الجزائري أدى إلى منافسة العملة التونسية للعملات المتداولة في الجزائر، وقد سيطر الريال التونسي على التعامل النقدي في قسنطينة، وذلك راجع لأن الاقتصاد التونسي قائما أساسا على التجارة وليس على الجهاد البحري على غرار ما كان حاصلا بمدينة الجزائر.[2]

حيث شهدت تونس تجارة متطورة فيما يخص المرجان الذي كان يتم الزيوت، الحبوب، الخضر، الصوف والاسفنج مقابل استيرادها للمواد التي يحتاجونها السكان كالقهوة والسكر والتوابل من إسبانيا بالإضافة إلى استيراد القماش من هولندا ومالطا،[3] ووجدت بقسنطينة أسواق محلية تجتمع فيها مختلف القبائل وتجار القوافل بين الإيالتين يسمح فيها بعرض البضائع والسلع أيام معينة من الأسبوع، ومن أهم المنتوجات التي كانت تعرض في هذه الأسواق هي المواد العطرية والعقاقير والأدوية والأسلحة والأقمشة الحريرية، الكبريت،[4] الخيوط المذهبة، مستلزمات الأعراس والتجهيز المنزلين كما تضمنت أيضا الأقمشة والزرابي والجلود المدبوغة والبلاغي (جمع بلغة: حذاء حديدي).[5]

(1)-أحمد بن الطاهر منصوري: **الدر المرصوف في تاريخ سوف**، دار الهدى، د.م.ن، د.س.ن، ص52.

(2)-محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص150.

(3)- Venture de paradis, op.cit, P99.

(4)-محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص153.

(5)-نقولا زيادة: إفريقيات، **دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**، د.ط، الأهلية للنشر، لبنان، 2002، ص56.

2/ العملات والأسواق التجارية بين الجزائر وتونس:

خصصت أسواق في كلتا الإيالتين لعرض البضائع والسلع التونسية والجزائرية من بين هذه الأسواق[1] سوق قسنطينة: وهو أكبر الأسواق يتوافد إليه التجار والقوافل من كل البقاع يحملون معهم مصنوعاتهم وأشغالهم اليدوية لبيعها وكذلك تصديرها للبلدان المجاورة لإيالة تونس، وقد لعبت قسنطينة دورا في تنشيط التبادل التجاري وتعزيزه وتشجيع النشاط الداخلي والخارجي.[2]

سوق ورقلة: محطة للقوافل التي تعبر الصحراء وملتقى التجار حيث تربط أقاليم المغرب بالنيل والمشرق وأقطار من السودان، وقد كان تجار تونس يتوافدون إليها من أجل عرض واستبدال بضائعهم بالسلع والبضائع التي تأتي بها القوافل الوافدة من السودان.[3]

سوق واد سوف: كانت بدورها وجهة للتجار من مختلف الجهات وقد كانت تشمل الكثير من الحوانيت التي اشتهرت ببيع التمور والتبغ، كما اشتهرت بصناعة المضلات من النخيل والأقمشة الصوفية وقد كانت هذه السوق همزة وصل بين الشمال والجنوب.[4]

(1)-انظر الملحق رقم: 03يمثل أهم الطرق الرابطة بين الشرق الجزائري والاسواق التونسية ،أنظر:محمد العربي الزبير المرجع السابق،ص160.

(2)-محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص81.

(3)-ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص46.

(4)-محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص155.

سوق توقرت: ساعدها في نشاطها التجاري توفر شبكة المواصلات والطرق حيث كان **واد ريغ**[1] يقوم بإنتاج التمور والأقمشة الصوفية العادية، وكان تجار هذه السوق يحملون بضائعهم إلى الجنوب التونسي لبيعها أو استبدالها للأقمشة القطنية والعطور المستوردة من البلدان الأوروبية وقد كانت القوافل بين مدينة توقرت والجنوب التونسي تسير بشكل يومي ذهابا وإيابا.[2]

سوق عنابة: وقد قال وليام سبنسر بأن عنابة لم تحقق اكتفاء ذاتي لإنتاجها للحليب والزبدة فقط، بل تعدته إلى تسويق هاته المواد لكل من مدينة تونس وجربة.[3]

كانت الأسواق التونسية تسمى على حسب السلع المعروضة فيها: كسوق العطارين وسوق القماشين وسوق الصاغة وسوق الغزل وسوق باعة الشمع وسوق العرافين التي اصطفت معظمها حول الجامع الأعظم الذي يمثل قلب المدينة الحقيقية، أما الأسواق المنتشرة في أنحاء المدينة هو سوق العطارين الذي اشتهر ببيع العطور والياسمين والورود والعنبر والحنة، وكذا سوق الترك وسوق الفكة جنوب المدينة.[4]

(1)–**واد ريغ**: يقع غربي وادي سوف على بعد 95كم، ويشتمل من الشمال إلى الجنوب على مدى وقرى وواحات كـ: مغير، وغلانة، جامعة، تامغنة، هقار، المقرين، تقرت، تماسين، القوق. ينظر: أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر**، د.ط، دار البصائر، دار الثقافة، الجزائر، 2009، ص142.

(2)–محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص156–157.

(3)–وليام سبنسر: المصدر السابق، ص140.

(4)– Joseph Fabre, **Essaisun la régence de Tunis, Seguin frères imprimeurs, Avignon**, 1881, P53.

حيث تعتبر كل هذه الأسواق مغطاة في مأمن من الشمس والمطر.

سوق البلاغجية: تخصصت هذه الأسواق منذ نشأتها في صنع البلغاتوالكنطرة "أحذية تقليدية".

سوق الباي: سميت بهذا الاسم لأنها تقع بجوار داي الباي مختصة في تجارة السجاد والأقمشة الحريرية والمجوهرات والمعادن الثمينة.

سوق القرانة: سوق للذين هاجروا من الأندلس إلى تونس يصدر المنتوجات الزراعية والمصنوعات التقليدية مثل الأغطية والشاشية عبر القوافل الصحراوية.[1]

حصلت هذه المبادلات بعملات عديدة كانت متداولة في كل من الجزائر وتونس أوائل القرن الثامن عشر أهم هذه العملات:[2]الزياني، الدرهم، الدينار، الضبلون، الصارمة، الريال، السلطاني وغيرها. وقد شاع استعمال الريال والبياستر[3] في المعاملات التجارية القرصنية وخاصة في الجهاد البحري لمدينتي الجزائر وتونس[4] حيث كانت هاتين العملات ذات رواج كبير في المبادلات التجارية وقابلة للتصريف في مناطق البحر المتوسط،[5] كما هناك عملات أخرى للتعاملات التجارية كالمحبوب،[6] السلطاني والناصري،[7] وتعتبر معظم هذه العملات عملات فضية.[8]

(1)-ابن أبي الدينار: المرجع السابق، ص236.

(2)-انظر الملحق رقم: 04 يمثل لوحة شاملة للعملات الوطنية وما يقابلها من العملات الأجنبية ،أنظر: العربي الزبيري :المرجع السابق،ص81.

(3)-**البياستر**Paistere: **عملة مستعملة في بلاد المغرب خلال العهد العثماني**. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي في الجزائر**، المرجع السابق، ص205.

(4)-ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص205.

(5)-محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص73.

(6)-**1 محبوب** = 4 ريال عملة عثمانية ذهبية متداولة في أقطار المشرق العربي تسمى أيضا السلطاني. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص204.

(7)-**الناصري**: عملة فضية كانت متداولة في تونس خلال العهد العثماني تراجع استعمالها نسبيا خلال القرنين 17-18 بعد شيوع استعمال الريال الإسباني. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص205.

(8)-محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص73.

ب- المجال الصناعي:

تمثلت الصناعة في كل من الإيالتين التونسية والجزائرية في الحرف اليدوية حيث كانت هذه الحرف تحت إشراف مراقب يدي الأمين، وتمثلت الحرف في هيئات أصحابها يشكلونها حيث تختص كل هيئة في حرفة معينة ومنها التجارة و**حرفة السراجة**،[1] ومن الصناعات التي لعبت دورا أساسيا خلال القرن الثامن عشر في كل من الاقتصاد التونسي والجزائري هي الصناعة الجلدية وتجلت في حرفة الحداءين، كما وجد القشاشون، وهم بائعو الملابس المختلفة، القوافة يعرضون الخضر والفواكه، والجلابون كانوا يبيعون الحيوانات مثل البغال والحمير التي تجلب من كل مناطق البلاد،[2] وكذا حرفة النجارة التي كان يمارسها النجارون حيث كانوا يشترون الخشب من الأوراس ومناطق القبائل والحدادون ينتجون مختلف الصناعات الحديدية وكما ازدهرت صناعة الأواني النحاسية عن طريق السفارون.

(1)-**حرفة السراجة:** تخصصت لصناعة أسرجة الخيل المطرزة من الذهب والفضة المستوردة من تونس، وحقائب المسافرين، أحزمة الأسلحة والنماق (نوع من الأحذية تصل إلى الركبة) واعتبرت من الحرف النبيلة ؟؟؟؟؟ يصنع يوجه إلى الجيش وإلى الداي. ينظر: Mahfoud Kadache, **l'Algérie durant la période Ottomane**, , Alger, 1991, P74

(2)- L.CharlesFeraud, **les corporations de mètien à Constantine avant la conquête Française**, in RA, N°16, 1872, P451.

وكذا صناعة معدن القصدير التي احتكرها اليهود خاصة، كما عرفت هذه المناطق صناعة البنادق والبطاريات على يد التشاقماجية، وصناعة خشب البنادق، وصناعة قطع الحديد للبغال والخيل والحمير، كما اشتهرت الإيالتين مثل السراجة والخرازة الخاصة بصناعة الأحذية والبشماقية لصانعي البشامق، بالإضافة إلى الحرف العامة كالبناء، الكواوشة (الخباز) والصوابنيةوالدخاخنية المختصين في بيع التبغ، القهواجية والطبخ والحلواجية وحرفة الكنافة التي تتمثل في نظافة المدينة.[1]

وقد كانت الحرف في كلا الإيالتين لا تكاد تختلف حيث تشابهت الصناعات بين تونس والجزائر وأبرز الصناعات التي ظهرت هي الصناعة اليدوية حيث تواجدت في الإيالة التونسية في مكان يدعى باب السوقية، الذي امتد إلى غاية الزواية السلمانية، تجمعت دكاكين العارضة للبضائع والسلع دكان تلوى الآخر حول المدينة العتيقة وتجمع الحدادون عند باب الحديد والسروجية عند باب المنارة، أما الصباغون كانوا داخل باب الجزيرة.[2]

(1)- Venture de paradis, op.cit, P100.

(2)- Joseph Fabre, op.cit, P52.

ج- المجال الزراعي:

حظيت الزراعة باهتمام كبير إبان القرن الثامن عشر خاصة إيالة الجزائر التي كانت تمتاز بمناخ معتدل وأراضي صالحة للزراعة، حيث اعتبرت من أوائل المنتجين للقمح عالميا في هاته الفترة، حيث يصدر قمح الجزائر لجميع دول أوروبا وكان يستخدم في صناعة العجائن،[1] وكذا زراعة الأرز بضواحي الجزائر حيث وصل الإنتاج إلى ستة آلاف قنطار سنويا،[2] كما اهتمت إيالة الجزائر بزراعة التبغ[3] الذي كان يصدر إلى كل من إيالة تونس وطرابلس والسودان، وقد كان لها نسبة من إنتاج الكروم وبيعها على شكل فواكه أو على شكل نبيذ وخل، حيث ثمن القنطار من العنب ربع سلطاني،[4] والحمضيات التي تواجدت في غرب إيالة الجزائر ومارس سكان الإيالة زراعة الكتان واستخراج الملح من سبخات البلدية، كما ازدهرت في زراعة القطن وتربية ديدان الحرير،[5] كما أدى توفير وتطوير الوسائل اللازمة للمزارعين، ومد الأراضي الزراعية بقنوات الري واستغلالها في الزراعة، إلى النهوض بالقطاع الفلاحي في الجزائر، ووفرة الإنتاج الزراعي إلى درجة تحقيق الاكتفاء الذاتي للإيالة وتصدير الباقي أو ادخاره.[6]

---

(1)-Venture de paradis, op.cit, P126.

(2)-محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص59.

(3)-بلغ سعره في النصف الثاني من القرن الثامن عشر 2 مزون للرطل بالنسبة للتبغ العادي و3 مزون للرطل للتبغ الرفيع الخاص بالحكام. ينظر: Venture de paradis,op.cit, P128.

(4)-عملة نقدية من الذهب. ينظر: Venture de paradis,op.cit, P287.

(5)- Mouloud Gaid, **l'Algérie sous les turcs, maison Tunisienne de l'Edition**, société national édition et de diffussion, Alger, 1974, P189.

(6)-محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص59.

كانت الفلاحة الجزائرية تقليدية بدائية اعتمد فيها على أدوات تجرها البقر والحمير والجمال، كما جلبوا مياه الأودية إلى مناطق جبلية واستغلالها في سقي أراضيهم الزراعية وماما ساهم في تحسين أوضاع الفلاحة، اعتماد المزارعين على وسائل وأدوات صناعية بسيطة آنذاك.

كانت تونس تشكو تأخرا في العمل الزراعي الذي كان ينفذ بأساليب وأدوات عتيقة، حيث لم يتقن الفلاح التونسي كيفية العناية الصحيحة بمنتوجاته الزراعية وأشجاره ورغم الأراضي الخصبة والمراعي الجيدة، إلا أن كمية الأمطار المتغيرة والمتذبذبة كان لها دور أساسي وتأثير فعال على المنتوج الزراعي، فكان انهمارها يعني بحبوحة في العيش. وشحها أو انعدامها يفضي أحيانا إلى مجاعات،[1] كما أن الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالبلاد حتى خلال عهد أحمد باي، بسبب نقص فادح في عدد السكان نتج عنه تقلص في مساحات الأراضي المزروعة وفضلا عن الوضع الطبيعي، كان ثقل النظام الضريبي، وأحد العوامل الرئيسية التي عطلت تطور الفلاحة والمجتمع الفلاحي عموما، وأسهم في نفس الوقت بتدعيم القياد وكبار الأعيان على حساب الفلاح البسيط الذي أهمل أرضه ولم يعد يزرعها. فأوشكت الزراعة أن تختفي أصبحت الأراضي الزراعية مجرد مراع للدواب.[2]

(1)–ابن أبي الضياف: ج4، المرجع السابق، ص146.

(2)–حسين جبار إبراهيم: **إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي، دراسة تاريخية**، مجلة مستقبل العربي، العدد 464، ص9.

2- العلاقات الاجتماعية:

أ- مدى تأثير القبائل الحدودية على واقع العلاقات بين البلدين:

لقد كانت **قبيلة الحنانشة**[1] هي أهم نموذج قبلي يجسد لنا تأثير واضح وجلي بفاعلية قصوى وبحجم كبير على العلاقات بين البلدين، لأنها تعد من أكبر القبائل التي ظلت تحركاتها تشكل ضغطا كبيرا على البلدين، حيث نجد تأثيرها في تونس خلال عهد الحسيني من خلال دعم الحرب الباشية الحسينية (1735-1740) بين حسين بن علي باي وابن أخيه علي باشا، فكان اندلاع هذه الحرب انتهاكا للإيالة التونسية حيث استمرت 5 سنوات كاملة وانتهت باعتلاء علي باشا الحكم عام 1740.[2]

وقد تجلى تأخيرها أيضا في حملة مراد باي بن علي باي على قسنطينة سنة 1700 حيث تركت هذه الحملة آثار بالغة على الإيالتين لأنها تعد من أخطر المواجهات في تاريخ الإيالتين، ولقد كان وراء هذا التأثير البالغ لهذه القبيلة العديد من العوامل من أهمها:

1. تربعها على مساحة شاسعة من الأراضي الممتدة بين الحدود.
2. تمتعها بنفوذ قوي ومكانة مرموقة.
3. لجوؤها إلى عامل المصاهرة لتدعيم نفوذها.
4. قوتها العددية حيث كان بإمكانها تجنيد ما يفوق 8000 فارس.[3]

---

(1)-**قبيلة الحنانشة**: تتشكل من ثلاثة فروع هي الشواية: وهم بربر الأوراس، هوارة وإخوانهم أداسة: وهم فرعان لشعب زناتة، عرب بني هلال وبني سليم: الذين قدموا إبان الزحف الهلالي على بلاد المغرب. وأصل قبيلة الحنانشة هم الذين يعرفون بأحرار الحنانشة، تمتد بين حدود البلدين وتعد هذه القبيلة جزائرية الموقع. ينظر: حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص25.

(2)-أبو عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، مطبعة الدولة التونسية، بحاضرتها المحمية، تونس، 1283هـ، ص121.

(3)-أحميدة عميراوي: المرجع السابق، ص25.

وقد كانت قبيلة الحنانشة تارة توالي تونس وتارة توالي الجزائر، وفي النهاية هجمت عليها كل من القوات التونسية وقوات بايلك قسنطينة في عام 1714. وسنة 1724.[1]

إضافة إلى قبيلة الحنانشة فقد كان كذلك لبعض القبائل الأخرى[1] وبالأخص التي قرب حدود البلدين تأثيرات على العلاقات بين الإيالتين كصراع **الشعانبة**[2] في الجزائر ضد **بني يزيد**[3] في تونس، إذ جاء في وثيقة كثيرة أن هذه القبائل أثارت الشغب على الحدود.[4]

حيث كان هذا التصادم بين سكان مناطق التخوم من مميزات الحياة العادية لتلك الأعراش، إذا كان الصراع شبه دائم حتى داخل أسرة العرش الواحد وكذلك بين قبيلة وأخرى، ويمكن الحكم على هذا النوع من الصراع بأنه كان محكوما إلى العصبية القبلية وإلى طبيعة الحياة القاسية وإلى طبيعة النظام السياسي القائم في كلا البلدين، وبالرغم من وجود مثل هذه الصراعات الناتجة عن صفوف الأعراش المتعادية إلا أن الطابع العام للعلاقات القائمة بين قاعدتي الهرم الاجتماعي لدى البلدين كانت مترابطة بالتحالف والمصاهرة.[5]

(1)–محمد الصغير بن يوسف: المرجع السابق، مج2، ص86.

(2)–**الشعانبة**: اختلف في أصل نسبهم هناك من يقول بأنهم من بني سليك وسموا بهذا الاسم عندما نزلوا بإفريقية بمحل يقال له شعنبارية، وذكر البعض الآخر أنهم من بني مزروع المعروفين بالعكارمة، وقيل أن جدتهم كانت لها كلبة سلوقية تدعى عنبة فإذا حرشتها على الصيد تقول لها إشاعانبة ودامت على ذلك زمن طويل حتى عرف أولادها بأولاد اسعانبة، وذكر أن أباهم كان يدعى "شعبانا" وعرف أولاد بأولاد شعابنة ثم صرفت في الألسن شعابنة. أنظر: إبراهيم العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن إبراهيم العوامر**، مج2، د.ط، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، الجزائر، 1977، ص70.

(3)–**بني يزيد**: هم إحدى بطون بني زعبة إخوة رياح أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، نزلوا حال دخولهم إفريقية بنواحي طرابلس، وقابس، تحالفوا مع الموحدين ومن بطونهم نجد بنو صميان، بن عقبة بن يزيد، ينتجعون بضواحي تونس. أنظر: مصطفى أبو ضيف: **القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص225.

(4)–أحميدة عميراوي: المرجع السابق، ص57.

(5)–المرجع نفسه، ص60.

ب- المصاهرة القبلية والتحالف بين سكان الإيالتين:

لقد تبينت لنا العلاقات الاجتماعية بين سكان الإيالتين بظاهرة المصاهرة التي أظهرت لنا مدى التواصل والترابط القائم بين شعبي الإيالتين، وأفضل مثال يبرهن ذلك تحالف قبيلة الدوايدية التونسية مع القبائل الصحراوية بتقرب من أجل تقديم المساعدات لعلي باشا التونسي الذي ثار ضد عمه حسين ابن علي.[1]

هذا بالإضافة إلى **أولاد جامع**،[2] الذين قدموا واد سوف من جنوب الإيالة التونسية وكذلك من صور المصاهرة القبلية أيضا قرية سيدي عبيد فهذه القرية تألفت من نسيج اجتماعي غير متجانس فجزء كبير من سكانها ذو أصول تونسية كدريد والهمامة والشبابية والجزء الآخر من أصول جزائرية كأولاد معافى بسكرة والنمامشة[3] **وأولاد سيدي عبيد**[4] والسواقة حيث ارتبطت هذه المجموعات بعلاقات مصاهرة، بالإضافة إلى علاقات تحالف ومصالح مشتركة وقد كان لقبيلة أولاد سيدي عبيد دورا هاما في تاريخ الإيالتين حيث سعت لإصلاح ذات البين وتخفيف حدة الشقاق بين القبائل الحدودية كما سعى الشيخ سيدي عبيد لنشر العلم والمعرفة بين أبناء القبائل الحدودية.[5]

---

(1)-إبراهيم العوامر: المرجع السابق، ص62.

(2)-**أولاد جامع**: ينتسبون إلى جامع بن تيمون بن عبد الله بن إبراهيم، بني جامع المراد سي أحد أفخاذ بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. كانت منازلهم في طرابلس ثم انتقلوا إلى جنوب تونس ثم إلى سوف وبقي البعض منهم في جميع تلك النواحي. أنظر: إبراهيم العوامر، نفس المرجع السابق، ص71.

(3)- أنظر الملحق رقم: 05.

(4)-**أولاد سدي عبيد**: نسبة إلى جدهم عبيد بن عامر بن زغبة ويذهب آخرون نسلهم إلى الوالي الصالح سيدي عبيد بن خضير الذي يعود إلى الأدارسة وهو الأصح، تتمركز هذه القبيلة حول الشريط الغربي لتونس. أنظر: الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر**، تونس، د.ط، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2013، ص12.

(5)-الأزهر الماجري: المرجع نفسه، ص30.

كما وجدت أيضا علاقة مصاهرة بين باي تونس علي باي وابنة منصر شيخ الحنانشة حيث قام بالزواج بها. وهناك أيضا قبائل أخرى جمعت بين فئات البلدين وهي موجودة في الجزائر وهي ذات أصول تونسية مثل: **العبادنة**[1]و**الخنافسة**،[2] وذلك لتحقيق أغراض مشتركة لكلا الطرفين.[3]

ج- الهجرات المتبادلة بين سكان وقبائل الإيالتين:

لقد كان هناك بعض الأسر والأفراد الذين هاجروا من المناطق الجزائرية إلى تونس ومثال ذلك سكان مستغانم، وقسنطينة ووهران وزواوة وتلمسان وميزاب ومن أكثر المهاجرين الجزائريين إلى تونس هم بني ميزاب خاصة من قرى غرداية والأمر الذي دفعهم إلى ذلك صعب المعيشة وكذلك مشكل الري واستقروا بجربة وشغلوا مناصب سامية في إيالة تونس وبرعوا في صناعة الجلد ونبغوا أكثر في الخياطة.[4]

أما في يخص هجرة القبائل فكان ذلك فرارا من الالتزامات الضريبية ومثال ذلك سنة 1781 حيث اقتحمت بعض القبائل التونسية حدود الجزائر من جهة تبسة فارة من قوات علي باي واختارت الجزائر مقرا لها، وكذلك عام 1787 قامت بعض القبائل الجزائرية بالفرار من الشرق الجزائري نحو تونس تملصا من دفع الضرائب، وكذلك هجرة القبائل التونسية ودخولها إلى الجزائر عقب الوقائع الحربية سنة 1705.[5]

---

(1)-**العبادنة**: نسبة إلى عبدون التحق بأولاد سيدي يحي بن طالب. أنظر: بيار كاستال: **حوزشبه، دراسة وصفية جغرافية لإقليم تبسة وأعراشه من وخر التاريخ إلى بداية القرن 20**، تع العربي عقون، د.ط، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010، ص293.

(2)-**الخنافسة**: قبيلة جزائرية تسكن مع أولاد بن ناصر مدينة عين صالح وضواحيها تعيش في صراع مستمر مع الطورق وهم ينتمون إلى قبيلة دريد التونسية. أنظر: محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية**، المرجع السابق، ص161.

(3)-مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص230.

(4)-يوسف بن بكر الحاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، د.ط، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، 2007، ص47.

(5)-إبراهيم العوامر: المرجع السابق، ص19.

د- الخصائص والمميزات المشتركة بين الإيالتين:

لقد كان هناك تشابه وتجانس كبير بين سكان الإيالتين في ظل العادات والتقاليد خاصة بين سكان الإقليم الشرقي بالجزائر والجنوب التونسي، وذلك بحكم القرب الجغرافي بينهما وانفتاح الحدود على بعضها، وهذا ما ولد احتكاكا إيجابيا بينهما وخلق شراكة في العادات والتقاليد والأعراف من خلال المظاهر التالية:[1]

1/ التشابه في الملبس:

من حيث المسميات أو مواد الصنع ومثال ذلك: البلوزة، القشابية، وهي جبة من الصوف البني، وكذلك وصنع الشاشية فوق الرأس، كذلك لباس الحولي بالنسبة للمرأة وحلقة الفضة، كما اشتركتا أيضا في لباس الحايك.[2]

2/ التشابه في أعراف وتقاليد الزواج:

وذلك بالبعث بمن ينوب الابن من الأهل في عروس المستقبل، وتقديم الهدايا للعروسة في الحفلة من حلي وزينة وفاكهة وحوليات، ثم يأتي عقد القران بينهما وفي الغالب يكون في أحد المساجد، وتضرب الطبول وتقرع الدفوف ويدوي فيها البارود في وسط بهيج من الفرحة، إلى غاية وصول المرأة إلى بيت زوجها.[3]

وكذلك إقامة حفلات الزرد، وزيادة أضرحة الأولياء.[4]

(1)-أحميدة عميراوي: المرجع السابق، ص49.

(2)-حسن محمد جوهر: **تونس**، د.ط، دار المعارف، مصر، 1961، ص85.

(3)-إبراهيم العوامر: المرجع السابق، ص82.

(4)-أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي: **المؤخون التونسيون في القرون 17 و18 و19**، د.ط، بيت الحكمة، تونس، 1993، ص57.

3/ الاحتفال بالأعياد:

مثل عيد عاشوراء في اليوم العاشر من محرم من كل سنة تقام مراسيم الاحتفال به، وكذلك عيد المولد النبوي الشريف وهو من أكبر الأعياد الدينية التي تحتفل فيها الإيالتين يوم ولد أعز وأفضل خلق الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحضر لتلك اليوم أجمل المدائح الدينية وتزين الشوارع بالشموع والأنوار وغير ذلك من المراسيم للاحتفال بهذا اليوم العظيم، وكذلك الاحتفال بعيد الفكر وعيد الأضحى.[1]

4/ التشابه في اللهجات:

فمن أهم العبارات المتداولة بين الإيالتين ما يلي: أدام الله في عمرك، زاد الله في عمرك، أتمنى أن تكون على الطريق الصحيح، وغيرها من العبارات المكتسبة في ديننا الحنيف، فقد كان هناك تشابه كبير في طريقة النطق هذا ما دفع إلى وجود احتكاك كبير من المجتمعين لأن هذا يسهل في صلات التواصل.[2]

5/ التشابه في المأكل وأصناف الأطعمة الغذائية:

كالتشابه الحاصل في وجبة الكسكس ومختلف العجائن والحبوب، وغيرها من المأكولات وكذلك آلات الطبخ المتشابهة كالقدور التي تصنع من الطين وطهي اللحم على الجمر.[3]

(1)-الأزهر الماجري: المرجع السابق، ص29.

(2)- Mohamed El-Kairouani Ben Abi El-raini, **histoire de l'Afrique, traduite de l'Arabe et résumée par MM.E.Pellissier**, imprimerie royale, Paris, MDCCXLV, P492.

(3)-حسن محمد جوهر: المرجع السابق، ص86.

هـ- انتشار مرض الطاعون في الإيالتين خلال القرن 18م:

خلال القرن 18 ظهرت عدة أمراض وأوبئة في الجزائر وتونس حيث انتشر مرض الطاعون في الجزائر خلال سنة 1740 الذي أودى بحياة الآلاف من الأفراد، وكذلك وباء نستي 1786 و1787 الذي أدى إلى موت ثلثي سكان مدينة عنابة، وكذلك وباء سنة 1792-1798 الذي أضر وهران وقسنطينة والجزائر.[1]

وقد عانت الجزائر من انتشار هذا المرض المهلك خلال 63 سنة من القرن الثامن عشر وقد استمر هذا الوباء لفترات متعاقبة وسبب هذا المرض هو توافد التجار والبحارة والحجيج إلى أرض الجزائر حيث انتقل هذا المرض من البلدان المجاورة وإقبال الأشخاص المصابين من الحدود الشرقية فتحدث العدوى بهذه الطريقة وظل هذا الطاعون لفترات طويلة من القرن 18م.[2]

وانتشرت المجاعات في الجزائر حيث أثرت على الوضع الاجتماعي تأثيرا سلبيا ومن بينها مجاعات 1778 و1779 حيث انجز عنها موت المئات من الأفراد في الشوارع، وتردي الأوضاع وانتشار الفوضى وغياب الأمن والغذاء.[3]

أما بالنسبة لتونس فقد ظهر فيها كذلك مرض الطاعون خلال السنوات التالية 1701، 1705، 1785 وقد أدى بوفاة ما يقارب 500 شخص في اليوم الواحد.

وبالتالي فإن إصابة سكان الإيالتين بهذا المرض سبب في تراجع كبير في عدد السكان وكان له أثر سلبي على النمو السكاني للإيالتين.[4]

(1)-ناصر الدين سعيدوني: **الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني**، المرجع السابق، ص432.

(2)-المرجع نفسه، ص435.

(3)-أحمد شريف الزهار: المصدر السابق، ص9.

(4)-ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص436.

3- العلاقات الثقافية والدينية:

لقد كانت هناك علاقة تواصل ثقافية بين الإيالتين حيث برزت لنا مظاهر عدة جسدت لنا بوضوح مدى التواصل الثقافي والديني بين شعبي الإيالتين ومن بين هذه المظاهر الرحلات العلمية التي تعتبر إحدى الوسائل لنقل العلم والمعرفة بين الإيالتين،[1] حيث استطاع العلماء بفضل هذه الرحلات الحصول على إجازات علمية[2] التي تعتبر بمثابة شهادة علمية جامعية يمنحها الشيخ المجيز لتلميذه المجاز له الذي يشترط أن يكون من ذوي الكفاءات العالية، بحيث يشهد له فيها بالقدرات والمؤهلات العلمية التي أصبح يتمتع بها حيث تجسد لنا الرحلات العلمية حملة العلم وطلابه في كلا الإيالتين من خلال أسفارهم وتنقلاتهم بين البلدين من أجل طلب العلم والاستزادة منه، وقد حث القرآن الكريم على طلب العلم، حيث أن أشهر رحلة علم هي رحلة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه،[3] وقد صورت لنا سورة الكهف هذا المشهد بقوله تعالى: «**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66)**».[4] فقد أراد الله أن يوضح لنا بأن العلم يتطلب البحث والانتقال ويرى ابن خلدون إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم وعليه فالرحلة شيء لابد منه في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال ولقاء المشايخ ومباشرة الرحال.[5]

---

(1)-محمد العزيز بن عاشور: **تونس الحضرية، تونس أعلام ومعالم، إشراف عبد العزيز الدولاتي**، وزارة الثقافية والمعهد الوطني لتراث تونس، 1997، ص23.

(2)-**الإجازات العلمية**: هي عبارة عن رخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة عنه. أنظر: عبد الله فياض: **الإجازات العلمية عند المسلمين**، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967، ص21.

(3)-محفوظ مقديش: المرجع السابق، ص27.

(4)-القرآن الكريم: **سورة الكهف**، الآيتان 65-66، ص301.

(5)-عبد الرحمان ابن خلدون: **مقدمة العلامة ابن خلدون**، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، طبعة جديدة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص591.

فقد كانت هناك عدة رحلات متبادلة بين الإيالتين لأن إيالة تونس تعتبر حاضرة من الحواضر الإسلامية، يقصدها الطلبة الجزائريين والعلماء من أجل طلب العلم، فمن أهم العلماء الذين حطت بهم الرحال في تونس أثناء رحلاتهم الحجازية العلامة **الورثلاني**،[1] حين قام بالزيارة في سنة (1766-1767) وعبر في رحلته عن مدى إعجابه بما يشهده في تونس من ازدهار للعلم في جامع الزيتونة فأشاد بتفوق العاصمة التونسية في هذا المجال.

كما قام محمد صالح الرحموني في سنة 1739 برحلة إلى تونس بغية التعلم[2] ويليه العلامة الجزائري **أبو راس الناصر**[3] الذي قام هو كذلك برحلة إلى تونس لطلب العلم واكتساب المعارف من أهل تونس وعلمائها عن طريق المراسلات العلمية لأنه كان متفوقا في العلوم العقلية والنقلية وقوة فصاحته ومن أبرز مؤلفاته: الأحكام الجوازل في بند النوازل، إزالة الوجم في قصيدة لامية العجم وغيرها من المؤلفات.[4]

وكذلك من أبرز العلماء الجزائريين الذين زاروا تونس في القرن 18 ابن حمادوش الجزائري الذي ولد سنة 1695 نشأ بمدينة الجزائر وتعلم بها العلوم الشائعة من أسرة متوسطة الحال، توجه إلى تونس واجتمع بعلمائها وأخذ منهم أمثال العالم والمفتي أبي عبد الله محمد زيتونة وتثقف ثقافة معاصريه من لغة وفقه وتصوف وتوحيد.[5]

---

(1)-**الورثلاني**: هو الحسن بن محمد بن سعيد، ولد في بني ورثلان بالقرب من بجاية عام 1125هـ، من أسرة عربية عريقة في العلم والتدريس والتصوف، عاش حياة فقيرة، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ في طلب العلم من مختلف الزوايا، تعلم الفقه والنحو، والتصوف والتوحيد، حج ثلاث عمرات. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص394.

(2)-أحمد بن عبد السلامي الحليوي: المرجع السابق، ص79.

(3)-**أبو راس الناصر**: محمد بن أحمد بن عبد القادر حمد بن أحمد بن ناصر الجليلي ولد في 27 ديسمبر 1727 بمدينة معسكر كان والده معلما للقرآن انتقل إلى المغرب بعد وفاة أبيه وحفظ القرآن هناك ثم عاد إلى معسكر فدرس على يد الشيخ عبد القادر المشرقي وأصبح ذو شهرة وصيت. أنظر: محمد الصالح الصديق: **أعلام من المغرب العربي**، ط2، ج1، موفم للنشر، 2008، ص24.

(4)-المرجع نفسه، ص26.

(5)-عبد الرزاق ابن حمادوش: **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، 1983، ص128.

وعلى العكس من ذلك فإنه هناك مجموعة من الطلبة والعلماء التونسيين الذين ارتحلوا من تونس إلى الجزائر للانتفاع من منابعها العلمية وأخذ المزيد من العلم من قبل علمائها ومن بين هؤلاء نجد: محمد تاج العارفين بن أحمد البكري العثماني، وكذلك الشيخ **ابن برنار**[1] الذي جال معظم القطر الجزائري لتحصيل العلم، ومن أبرز الشيوخ الذين قصدوا قسنطينة الشيخ بركات بن باديس، وعلي الكماد، أما الجزائر العاصمة فقد قصدها كل من مصطفى العنابي، وعلي بن خليل، ومحمد بن سعيد قدورة.[2]

كما ورد إلى الجزائر عدد من علماء تونس ومعهم مكتباتهم وتأليفهم وسائلهم ك**إبراهيم الغرياني**،[3] ومحمد الباجي الشافعي، و**حمودة عبد العزيز**،[4] و**إبراهيم الرياحي**.[5]

لقد كان لهذه الرحلات المتبادلة بين الإيالتين عوامل كثيرة ساهمت في سير نشاطها ومن بين هذه العوامل ما يلي:

- استقرار الوضع السياسي للإيالتين مما ساعد على حرية التنقل.
- ازدهار الحياة العلمية والأدبية.

---

(1)-**ابن برنار**: هو أحمد بن مصطفى ابن الشيخ محمد بن مصطفى ولد بتونس 1677 حفظ القرآن ودرس العلوم على أيدي مشايخها، توفي سنة 1726. أنظر: محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص154.

(2)-أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص113.

(3)-**إبراهيم الغرياتي**: عالم مجدد في علوم الأدب وله عناية به وخاصة علم البديع. انظر: محمد النيفر: **عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب**، ط1، ج2، المطبعة التونسية، تونس، 1391هـ، ص140.

(4)-**حمودة عبد العزيز**: أبو محمد حمود بن محمد بن عبد العزيز، أخذ العلم عن الشيخ أبي عبد الله المكوي وغيره من الشيوخ، مارس التدريس تخرج على يده عدة أئمة من بينهم عمر المحجوب، من مؤلفاته حاشية على الوسطة. انظر: ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج7، ص22.

(5)-**إبراهيم الرياحي**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياصي، الفقيه الطرابلسي يرتفع نسبه إلى أهل البيت ولد عام 1180هـ، حفظ القرآن وأخذ العلم على يد علماء تونس كصالح الكواش، وأخذ النحو عن أبي يعلي حمزة الجياسي. انظر: محمد النيفر: المصدر السابق، ج2، ص90.

وفي سياق هذه المبادلات العلمية بين الإيالتين نجد أن عدد العلماء الجزائريين الذين سافروا إلى تونس لطلب العلم يفوق عدد العلماء التونسيين الذين زاروا الجزائر خلال القرن 18 وهذا راجع إلى اكتفاء علماء تونس الذاتي في طلب العلم لما كان لديهم من مختلف العلوم وأكبر المشايخ[1] في **جامع الزيتونة**.[2]

(1)-عمار هلال: **علماء الجزائر في تونس فيما بين القرنين 14هـ و20م**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 11 و12، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص62.

(2)-**جامع الزيتونة:** محمد بن الأعلب أمر بناء هذا المسجد وبدأ في بنائه عام 863م، وبعد موته واصل عمله أخوه أبو محمد زيادة الله ومات هو الآخر قبل الانتهاء من إعادة بناء الجامع، فقد عرف هذا الجامع خلال القرن 16 ميلادي أحلك الفترات فقد نهبت خزائنه وحرقت في صحنه حوالي أربعين مجلدا، لكن في سنة 1655 تم ترميمه وتجديد المئذنة وهذا الجامع له أهمية كبيرة كونه حافظ على جل عناصره المعمارية. انظر: محمد الباجي بن مامي: **التأثيرات الثقافية والمعمارية، أوجه من الحضور الأندلسي بمدينة تونس**، مجلة التاريخ العربي، سنة 1977، العدد 3، ص133.

كما أن كل من الإيالتين الجزائر وتونس قد احتوت على مجموعة من المؤسسات التعليمية المشهورة لما لها دور كبير في نشر العلم وأداء العبادة الصحيحة، ومن أهم هذه المساجد جامع الزيتونة الذي أبدع في شتى المجالات العلمية والعقلية بتونس حيث تضمنت مكتبته العامرة ما يزيد عن مائتي ألف مجلد، وقد تخرج منه أعلام ومصلحون بالآلاف، وقد شهد بناء هذا الجامع تحسينات وتوسعات وترميمات كبيرة وبقي في قلب كل المناسبات والاحتفالات الدينية التي تعيشها المدينة.[1]

أما بالنسبة للجزائر فقد كان هناك جامع كتشاوة من أشهر المساجد التاريخية في الجزائر بني سنة 1792 سمي بكتشاوة وهو اسم تركي بمعنى معزة، تواجد قرب مدينة القصبة بمدينة الجزائر.[2]

ومن أهم الحواضر العلمية بقسنطينة خلال القرن 18م نجد جامع سوق الغزل الذي بناء الباي حسن عام 1730، وجامع سيدي الأخضر الذي بني عام 1743 بأمر من الباي حن بن الحسين، وكذلك جامع سيدي الكتابي يوجد بساحة سوق العصر حيث أمر صالح باي بن مصطفى ببنائه عام 1776.

كما كانت هناك مؤسسات أخرى كالكتاتيب، والأربطة والزوايا التي استخدمت للتعليم وحفظ الشعائر ونشر القرآن الكريم.[3]

(1)–إرشاد إمام: المرجع السابق، ص115.

(2)–محمد الباجي بن مامي: المرجع السابق، ص130.

(3)–المرجع نفسه، ص131.

كما تعتبر رحلات الحجيج محطة من محطات تواصل وترابط الشعوب ببعضها البعض من خلال المظاهر الإنسانية والأخوية والثقافية التي تتجسد أثناء هذا السفر الشاق والطويل إلى البقاع المقدسة، وهو فرصة لتلاقي وتعارف علماء ومثقفي الإيالتين وهذا ما يسمح لهم بالتبادل المعرفي وتلقي المزيد من التكوين العلمي واكتشاف التطورات والأنشطة الثقافية المختلفة بمختلف الأماكن.[1]

كما كان هناك تواصل علمي وثقافي بين الإيالتين وذلك عن طريق الرسائل الإخوانية بين العلماء مثل ما حدث بين كل من سعيد قدورة وأحمد المقري وابن عمار حيث كانت هذه الرسائل تحرى من أجل الإخبار بكتاب ألف أو التعزية عن فقيد أو التهنئة بحادث سعيد أو التوصية عن قريب أو صديق وتدعى هذه الرسائل بالديوانية ويغلب عليها أسلوب الركاكة.[2]

ويمكن القول كذلك أنه كانت هناك صلات روحية وثقافية كبيرة بين الإيالتين وذلك عن طريق الطرق الصوفية التي لعبت دورا كبيرا في توطيد العلاقات بين سكان الإيالتين، حيث كانت الصلات والزيارات المتبادلة تلعب دورا كبيرا في انتشارها ولهذا وجدت كثير من الطرق الصوفية أصلها تونسي وهي نشيطة في الجزائر والعكس كذلك صحيح.[3]

ومن أبرز الطرق الصوفية التي نشأت في القرن 18 هي:

(1)–أرزقي شويتام: **العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية (الفترة العثمانية)**، مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد 33، 2011، ص81.

(2)–ابن حمادوش: المصدر السابق، ص130.

(3)–أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص508.

– الطريقة الرحمانية: نسبة إلى مؤسسها محمد عبد الرحمان القشتولي الجزائري المولود سنة 1715 وتوفي سنة 1793 أسس في الجزائر العاصمة زاوية وعمل فيها على نشر تعاليمه الصوفية الخلوتية وبوفاته سنة 1793 عمل خليفته على طريقته في القبائل مهمة نشر تعاليم الطريقة في البلاد الجزائرية.[1]

أما في تونس فقد بدأت الطريقة تظهر أواخر القرن 18 وقد عين الشيخ عبد الرحمان القشتولي مصطفى الطرابلسي أحد أتباعه للدعوة ونشر الطريقة وبوفاته عوضه أحمد بن علي بوحجر الذي تمكن من بث أصول الطريقة بنجاح في الوسط التونسي حيث أسس زاوية الكاف في سنة 1785 وكان لها دور كبير عيث اعتبرت بمثابة الزاوية الأم للطريقة.[2]

– الطريقة التيجانية: نسبة إلى أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني المولد في 1737 بدائرة الأغواط نشأ في وسط أسرة شريفة مشبعة بالعلوم والتصوف وتلاوة القرآن ولما بلغ 20 سنة توجه إلى فاس لأخذ العلم من علمائها واهتم بالأمور الدينية والدنيوية، وبعدها عاد إلى زاويته ومكث فيها ما يقارب ثمانية عشر سنة داعيا إلى مذهبه ثم انتقل إلى تونس داعيا إلى الإسلام ونشر تعاليم طريقته الصوفية.[3]

– الطريقة الشابية: نسبة إلى أحمد بن مخلوف، لفتت معارضة من طرف السلطات العثمانية في تونس وخبت بعض الشيء لكن عادت للظهور مرة أخرى بالصحراء الجزائرية التونسية.[4]

---

(1)–محمد صوتية: **تواد والأوزاد خلال القرنين الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة، في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2003–2004، ص20.

(2)–محمد صوتية: المرجع السابق، ص28.

(3)–عمار هلال: **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا السمراء**، مطبعة الجيش الجزائري، الجزائر، 2007، ص121.

(4)–محمد صوتية: المرجع السابق، ص30.

ومن شخصيات الشابية الفاعلة والمؤثرة الشيخ المسعود الشابي الذي كان له دور بارز في أحداث تونس والجزائر وهو ثامن شيخ للطريقة الشابية، وسبب توتر علاقاته مع الإيالة التونسية لجأ إلى جبل بششار بالقرب من خنشلة وأقام فيه زاوية وفي هذه المنطقة استطاع أن يبسط نفوذه.[1]

– الطريقة الدرقاوية: نسبة إلى الشيخ محمد العربي الملقب بأبي الدرقاوي الشريف الإدريسي ولد بقبيلة بني زروال بمراكش عام 1737 دخلت هذه الطريقة إلى الجزائر بفضل عبد القادر بن الشريف ولقد لقت دعمها من السلطات التونسية في ثوراتها الشرقية.[2]

وبالإضافة إلى الطرق الأخرى ذات المرجعية المتبادلة بين البلدين توجد كذلك طرق أخرى التي عمت إشعاعاتها كل المناطق الشرقية بالجزائر وتونس، كالطريقة الطيبيةو**الزيانية**،[3] **والقادرية**[4] حيث لعبت هذه الطرق دورا كبيرا في تمتين أواصل الأخوة بين الشعبين.[5]

(1)–محمد أحمد ورنيقة: **الطريقة الشاذلية وأعلامها**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص14.

(2)–صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**، دار البراق، لبنان، بيروت، د.س، ص152.

(3)–**الطريقة الزيانية:** نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي زيان الإدريسي، ولد عام 1650 ببشار حفظ القرآن الكريم والعلوم اللغوية ثم توجه إلى فاس بما أخذه من علم على يد علمائها وبعدها عاد إلى الوطن وأنشأ طريقة مستمدة من الشاذلية. انظر: صلاح مؤيد العقبي: المرجع نفسه، ص137.

(4)–**الطريقة القادرية:** نسبة إلى عبد القادر الجيلاني ولد بفاس في 1077م ثم انتقل إلى بغداد فأخذ من كبار شيوخها ومتصوفيها، وهي أقدم طريقة صوفية تأسيسا وأقدمها وجودا في الجزائر. انظر: عمار هلال: المرجع السابق، ص118.

(5)–صلاح مؤيد العقبي: المرجع نفسه، ص136.

وخلاصة للفصل يمكن القول بأن العلاقات الاقتصادية بين الإيالتين كانت تخضع للعلاقات السياسية، إلا أن العلاقة بين الشعبين حالت دون أن تظهر آثار الخلافات السياسية على التواصل الاقتصادي وقدمت نموذجا رائعا عن مدى الترابط والتآزر بين الشعبية.

وقد كان أساس هذا التعامل الاقتصادي هو القوافل البرية وانحصر دور السلطات الجزائرية في جمع الضرائب والرسوم الجمركية.

إن مثل هذه العلاقات زادت من الثقة والاستقرار والأمان الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بين الإيالتين، فأصبحت معبرا آمنا رغم شساعة المساحة وقساوة الطبيعة لجميع القوافل التجارية، وقد ساهمت بشكل كبير في انتشار وتنشيط الحركة التجارية في شمال إفريقيا برا وبحرا.

وقد أدت الفسيفساء الجنسية من أتراك ويهود والكراغلة والأندلسيين، بالإضافة إلى السكان الأصليين إلى اختلاط الثقافات وتنوعها والانحلال الثقافي الاجتماعي والانفتاح على المجتمعات والديانات الأخرى، واختفاء التعصبات العرقية الجنسية الثقافية، فأصبح المجتمع الجزائر والتونسي من أرقى المجتمعات في تلك العصور واكتسب العديد من العادات والتقاليد القادمة من الدولة العثمانية، ومن أجناس أخرى، وقد كان المجتمعان الجزائري والتونسي يحتفلان بالأعياد والمناسبات معا، التي اتسمت بطابع خاص بهما. وقد تشابهم الإيالتين في طريقة اللباس والعمران وبعض العادات والتقاليد وطريقة التحضير للمناسبات الدينية والرسمية.

الخاتمة:

– من خلال دراستنا لموضوع العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن الثامن عشر فقد حاولنا اعطاء صورة مبسطة عن العلاقات الجزائرية التونسية بمختلف ميادينها السياسية، والإقتصادية، الاجتماعية والثقافية خلال هذه الفترة المدروسة و الوقوف عند مسالة الحدود و تاثيرها في الخلافات بين الطرفين و كذلك أسس هذه العلاقات و إبرز العوامل المتحكمة فيها و من خلال هذه الدراسة توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات هي:

– كان لوجود الأتراك العثمانيين في كل من الجزائر و تونس دورا فعالا في إنقاظ هاذين البلدين من الإحتلال الإسباني الذي كان أمرا واقعا والهدف من ذلك ضم كل من البلدين الى الدولة العثمانية .

– ان تباين الأوضاع السياسية في إيالة الجزائر كغيرها من الإيالات التابعة للدولة العثمانية يرتبط بالدرجة الاولى الى عدم التحكم في السكان و هذا ما جعل تكدر الجو السياسي في القرن الثامن عشر و كثرة الثورات و الفتن التي تسبب فيها السكان المحليين .

– اما إيالة تونس فقد عرفت تغيرات و تطورات سياسية وإقتصادية و إجتماعية كبيرة خلال القرن الثامن عشر إلا أن الجو لم يخلو من المشاكل و الخلافات و الحروب الاهلية.

– تميزت العلاقات الجزائرية التونسية خلال هذه الفترة بالعصبية و الصراع السياسي، وكذلك عرفت فترات سلم متذبذبة تخللتها حروب فابرغم من كونهما إيالتين عثمانيتين خاضعتين لحكم خلافة إسلامية عظمى إلا ان هذا لم يمنع من ظهور عدة خلافات بينهما.

– من بين أهم العوامل التي اثرت على مسار العلاقات السياسية بين البلدين مشكل الحدود الذي يعتبر ذو أهمية بالغة إذ أن لقبائل الحدود دور كبير في تغيير مجرى تاريخ العلاقات السياسية فقد كان لجوء هذه الأخيرة و تبعيتها لإحدى الإيالتين يسبب خلافات و مناوشات بين بايات تونس وبايات قسنطينة مما ينجر عنها هجمات عسكرية .

– بدأت التدخلات المباشرة للجزائر في الشؤون الداخلية لتونس منذ إعلان إستقلالها عن الجزائر و مثال ذلك مساعدة الجزائر في توطيد العرش الحسيني في تونس بداية القرن الثامن عشر .

– ظهرت كذلك عدة معارك بين الإيالتين خلال هذه الفترة و هذا ما أدى إلى تدهورالأوضاع و إتساع دائرة الحروب بين الإيالتين .

– ساهمت الدولة العثمانية بتوسطها في النزاع بين الإيالتين وأرادت أن تزيل سبب من أهم أسباب النزاع ألا وهو مشكلة الحدود وذلك بعقد إتفاقية سنة 1821م لتخطيط الحدود الإدارية بين الإيالتين .

– تمثلت العلاقات الإقتصادية بين البلدين في المبادلات التجارية بين الأفراد والدول حيث كانت تونس على علاقة دائمة و مستمرة عن طريق القوافل مع الجزائر وقسنطينة .

– كان للروابط الثقافية دور كبير في إنشاء علاقات طيبة بين الجزائر وتونس وذلك عن طريق نشر العلم، وتبادل الرحلات العلمية بين علماء البلدين.

. اما فيما يخص الروابط الإجتماعية فقد تجسدت في التشابه في العاداة والتقاليد والإحتفالات والأعياد الدينية، هدا إضافة الى الدور الكبير الدي لعبته الطرق الصوفية في توطيد العلاقات بين سكان الإيالتين خاصة بين شرق إيالتين خاصة بين شرق إيالة الجزائر وغرب إيالة تونس.

الملاحق

الملحق رقم 01: التقسيم الإداري في الجزائر[1]

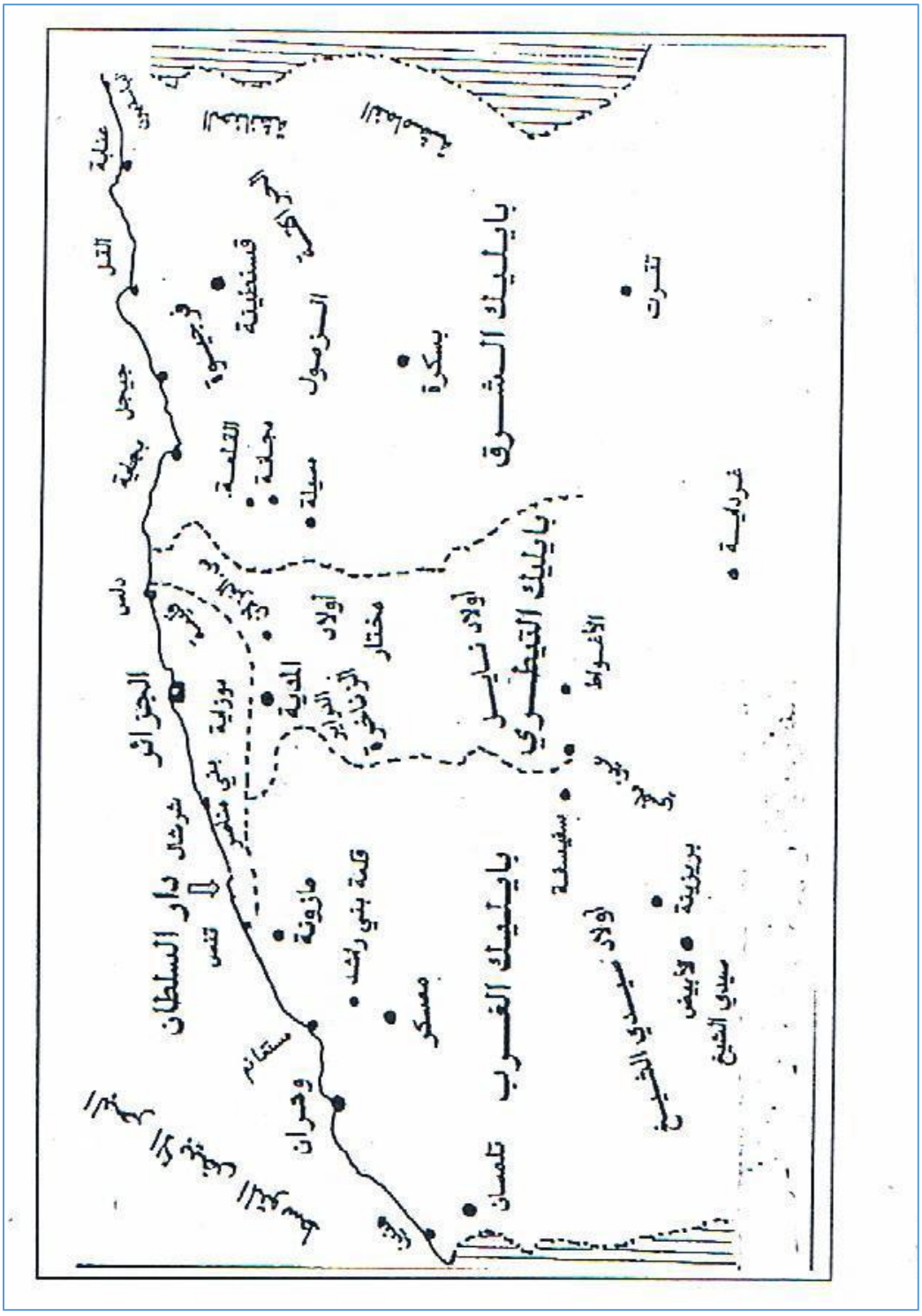

(1)- صالح عباد: المرجع السابق، ص283.

الملحق رقم 02: المبادلات التجارية بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية[2]

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف –الجلود المدبوغة – التمور الممتازة الشواشي العادية – ريش النعام	المصنوعات الأوربية – العطور ، التوابل –القهوة الأقمشة القطنية والحريرية
الوادي	نفطة نفطة	التبغ –الفوة [2]– التمور	مواد البزازة –المواد العطرية – الأقمشة الحريرية – الأسلحة – الكبريت
تقرت	نفطة غدامس	الأقمشة الصوفية العادية – التمور – المضلات المواد العطرية – التمور الحبوب – الزيوت –الأقمشة	الأقمشة القطنية – العطور – المصنوعات الأوربية التبر–العبيد –جثث النعام – البخور السوداني
ورقلة	غدامس	الأقمشة الحريرية والقطنية– التمور –الحبوب –الزيوت –الأسلحة – أنواع من العملة	التبر – العبيد –العاج –البخور السوداني وكثير من المنتوجات الأفريقية

(2)– محمد العربي الزبيري: **تجارة الشرق**، المرجع السابق، ص159.

الملحق رقم 03: أهم الطرق الرابطة بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية[3]

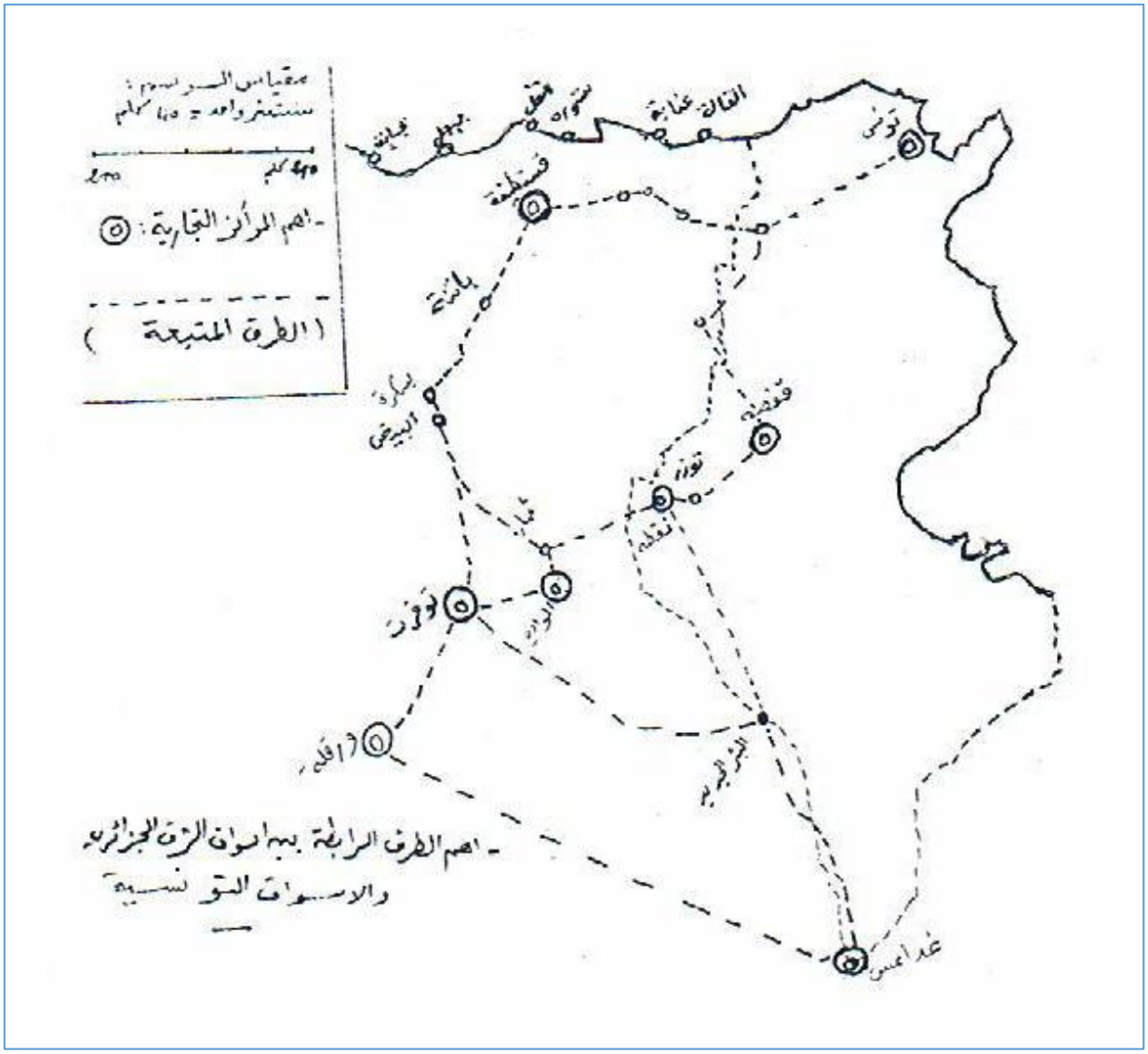

(3)– محمد الزبيري: **تجارة الشرق**، المرجع السابق، ص160.

الملحق رقم 04: لوحة شاملة للعملات الوطنية وما يقابلها من العملات الأجنبية[4]

لوحة شاملة للعملات الوطنية وما يقابلها من العملات الأجنبية

– لوحة رقم ٢ –

اسم العملة	قيمتها بالفرنك الفرنسي	بالدولار الاسباني	بالبياستر القوي	بالتونسية	بالكوري السوداني
السلطاني أو المحبوب	١١	٢،١	٢	١١٠	٢٢٠٠
البياستر الفضي القسنطيني	٣،٨٥	٠،٧٣	٠،٧	٣٨،٥	٧٧٠
الريال بوجه (البوجو)	٣،٣	٠،٦٣	٠،٦	٣٣	٧٢٦
النصف (بوجو)	١،٦٥	٠،٣١٥	٠،٣	١٦،٥	٣٦٣
الثمن (ثمن بوجو)	٠،٤١	٠،٠٧٥	٠،٠٧	٤،١	٩٠،٧
البيتاك شيك	١،١	٠،٢١	٠،٢	١١	٢٢٠
الريال مجبور	١،٥	٠،٢٧	٠،٢٧	١٥	٣٠٠
الموزونة	٠،١٣	٠،٠٢	٠،٠٢	١،٣	٢٦
الصايم	١،٨	٠،٢٨	٠،٢٨	١٨	٣٦٠

(4)– العربي الزبيري: **التجارة الخارجية**، المرجع السابق، ص81.

الملحق رقم 05: أماكن تموضع بعض القبائل الحدودية في الإيالتين الجزائرية والتونسية[5]

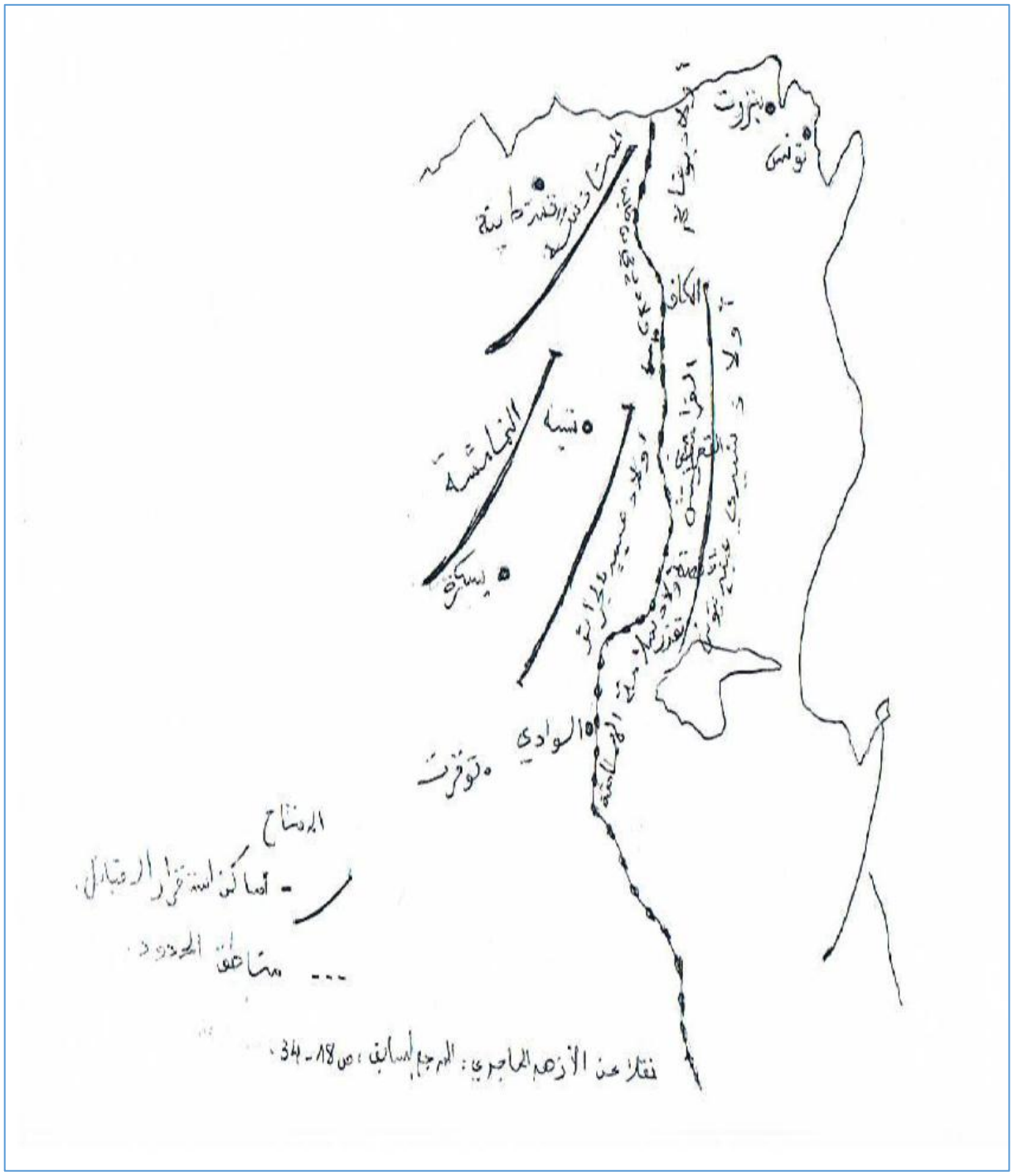

(5)- الأزهر الماجري: **المرجع السابق**، ص18.

قائمة المصادر

و المراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. إبراهيم العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن إبراهيم العوامر، مج2، د.ط، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، الجزائر، 1977.
2. ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان، ج3، تونس، 1963.
3. ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان وأخبار تونس في عهد الأمان، تونس، ج2، الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط2، د,ت.
4. ابن المفتي: تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.
5. ابن سحنون الراشدي: الثغر الجهادي في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: المهدي بوعبدلي، د.ط، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973.
6. ابن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
7. أبو عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة الدولة التونسية، بحاضرتها المحمية، تونس، 1283هـ.
8. إحسان حقي: تونس العربية، دار الشمالي للطباعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص:99.
9. أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تق: أحمد توفيق المدني، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

10. أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1983.
11. أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي: المؤخون التونسيون في القرون 17 و18 و19، د.ط، بيت الحكمة، تونس، 1993.
12. الأزهر الماجري: القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر، تونس، د.ط، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2013.
13. ألبير دوفال: الريس حميدو، تر: محمد العربي الزبيري، دط، مطبعة بن بولعيد، الجزائر.
14. بيار كاستال: حوزشبه، دراسة وصفية جغرافية لإقليم تبسة وأعراشه من وخر التاريخ إلى بداية القرن 20، تع العربي عقون، د.ط، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010.
15. حسن محمد جوهر: تونس، د.ط، دار المعارف، مصر، 1961.
16. حمدان خوجة: المرآة، تع: محمد العربي الزبيري، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، د.س.ن.
17. حمودة عبد العزيز: كتاب الباشي، تحقيق الشيخ محمد ماضور، ج2، متمم السيرة، الدار التونسية للنشر، 1970.
18. خير الدين بربروس: مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، دار الأصالة، الجزائر، 2010.
19. صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت، د.س.
20. عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، طبعة جديدة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007.

21. عبد الرزاق ابن حمادوش: رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، 1983.

22. عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967.

23. كمال بن صحراوي: الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، د.ط، بيت الحكمة، الجزائر، 2008.

24. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ن.

25. محمد العزيز بن عاشور: تونس الحضرية، تونس أعلام ومعالم، إشراف عبد العزيز الدولاتي، وزارة الثقافية والمعهد الوطني لتراث تونس، 1997.

26. محمد النيفر: عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب، ط1، ج2، المطبعة التونسية، تونس، 1391هـ.

27. محمد بن محمد الأندلسي: الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مج2، تق تح: محمد الحبيب الهيلة، د.ط، دار الفرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.

28. محمد خير فارس: دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دط، مكتبة دار الشرف، شارع سوريا، بيروت.

29. محمد صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

30. مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

31. يوسف بن بكر الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، د.ط، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، 2007.

ثانيا: المراجع

32. إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، ط1، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان، 1988.
33. إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2005.
34. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.
35. أحمد الطويلي: في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
36. أحمد بن الطاهر منصوري: الدر المرصوف في تاريخ سوف، دار الهدى، د.م.ن، د.س.ن.
37. أحمد بن عامر: تونس عبر التاريخ، من أقدم العصور إلى إعلان الجمهورية، ط1، تونس، 1960.
38. أحمد توفيق المدني: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا، دار المطبعة العربية، الجزائر، 1931.
39. أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر، د.ط، دار البصائر، دار الثقافة، الجزائر، 2009.
40. أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، دار البصائر، 2009.
41. أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشروق، 1982.
42. أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، دط، دار البعث، الجزائر، د س ن.
43. أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
44. الأزهر الماجري: القبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس، د ط، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2013.

45. إسماعيل أحمد باغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، 1998.

46. إسماعيل أحمد باغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، 1997.

47. إسماعيل أحمد ياخي: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1993.

48. أمين محرز: الجزائر في عهد الآغاوات (1659-1671م)، دط، دار البصائر، الجزائر، 2007.

49. جمال قنان : قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، د ط ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ،1994.

50. الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

51. حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب الشرقية، تونس، 1373هـ.

52. حسن دردور: عنابة، الجزائر، د.ط، الشركة للنشر والتوزيع، د.م.ن، 1983.

53. حمادي الساحلي: فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

54. حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.

55. شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تعريب: محمد مزالي البشير بن سلامة، مؤسسة تأوالت الثقافية، 2011.

56. شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، تونس، ج2، الدار التونسية للنشر، 1983.

57. شوقي عطاالله الجمل :المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر، المغرب)،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،1977.

58. صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط3، دار هومة للنشر والطباعة، الجزائر، 2005.

59. صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)، ط2، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.

60. صلاح العقاد: المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.

61. ضيف شوقي: عصر الدول والإمارات ليبيا، تونس – صقلية، دار المعارف، النيل، القاهرة، 1992.

62. عاطف عيد: قصة وتاريخ الحضارات العربية، تونس، الجزائر، Edito-CNPS, INT 1998-1999.

63. عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة، منشورات المركز الوطني والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني، ط1، دار الكتاب العربي، د. م. ن، 2001.

64. عبد الحميد هنية: تونس العثمانية، بناء الدولة والمجال، ط1، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012.

65. عبد العزيز سليمان، الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.

66. عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة الأولى، دار النهضة لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

67. عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999.

68. عبد الله شريط، محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، ط1، قسنطينة، الجزائر، 1965.
69. عبد المجيد بن عمر العياري: مكثر عبر التاريخ (1705-1755)، ج2، د.ط، 1997.
70. عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989.
71. علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط4، ج1، دار المعرفة، القاهرة، 2006.
72. عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب من القرن العاشر هجري إلى القرن السادس عشر ميلادي، د.ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2008، ج2.
73. عمار عمورة : موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002.
74. عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا السمراء، مطبعة الجيش الجزائري، الجزائر، 2007.
75. فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م.
76. محمد أحمد ورنيقة: الطريقة الشاذلية وأعلامها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990.
77. محمد الصالح الصديق: أعلام من المغرب العربي، ط2، ج1، موفم للنشر، 2008.
78. محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
79. محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن.

80. محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

81. محمد الهادي العامري: تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع، القصبة، تونس، 1974.

82. محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

83. محمد بيرم الخامس: صفوة الاعتبار بمتنوع الأمصار والأقطار، القطر التونسي، ط2، تحقيق علي بن الطاهر الشوقي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، مج2.

84. محمد صغير بن يوسف: المشرع الملكي في سلطة أولاد علي التركي، تق: أحمد الطويلي، ط1، المطبعة العصرية، تونس، ج1، 1988.

85. محمد علي عامر ومحمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، لبيبة، د.ط، دمشق، سوريا، د.س.

86. محمد فريك بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1983.

87. محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

88. مرمول كرفخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دط، دار المعرفة، الرياض، ج3، 1989م.

89. المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج2، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

90. مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

91. ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق –مقاربة للواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، د.ط، عالم المعرفة، الجزائر، 2008.

92. ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ن.

93. ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.

94. نقولا زيادة: إفريقيات، دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، د.ط، الأهلية للنشر، لبنان، 2002.

95. وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم الدكتور عبد القادر زبادية، دار الفضة للنشر، الجزائر، 2006.

96. يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1748م-1780م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

97. يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1965، ج1.

98. يحي بوعزيز: موجز تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 2007.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

99. مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، د.ط، ج2، آسيا، ألبانيا، د.س.

100. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

رابعا: المذكرات والرسائل

101. محمد حوتية: تواد والأوزاد خلال القرنين الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة، في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2003-2004.

خامسا: المجلات

102. أحمد قاسم: أوضاع إيالة تونس العثمانية –على ضوء فتاوى ابن عظوم، المجلة التاريخية المغربية، العدد33–34، مطبعة الاتحاد العام التونسي، 1979.

103. أحمد مريوش: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2009.

104. أرزقي شويتام: العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية (الفترة العثمانية)، مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد 33، 2011.

105. حسين جبار إبراهيم: إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي، دراسة تاريخية، مجلة مستقبل العربي، العدد 464، ص9.جون وولف: « رياس البحر» مجلة الدراسات التاريخية، ترجمة أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، العدد 3، 1987.

106. رشاد الإمام: سياسة حمودة باشا في تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السلسلة الرابعة، تاريخ منشورات الجامعة التونسية، 1980.

107. عمار هلال: علماء الجزائر في تونس فيما بين القرنين 14هـ و20م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 11 و12، دار الحكمة، الجزائر، 2001.

108. محمد الباجي بن مامي: التأثيرات الثقافية والمعمارية، أوجه من الحضور الأندلسي بمدينة تونس، مجلة التاريخ العربي، سنة 1977، العدد 3.

109. محمد دراج: تأسيس إيالة الجزائر، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة، مخبر البحث التاريخي (مصادر ومراجع)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، العدد 16، 2010.

110. ناصر الدين سعيدوني: الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي في الجزائر في العهد العثماني، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها، جمع وتعريب عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ج1، ج2، 1986.

سادسا: المواقع الالكترونية

111. www.al-mostafa.com

112. http://www.marefa.org

113. https://ar.m.wikipedia.org/wiki

سابعا: المراجع باللغة الأجنبية

114. Alphonse Dilham ; histoire abrégée de la régence de tunis, imprimerie Balitout Questout Questroy et cie, Paris, 1866.

115. Ben Youssef Mohamed Seghir, Mechraa El Melki, chronique Tunisienne (1705-1771), ouvrage traduit en Français par Victor Serreset Mohammed Lasram, 2e ed, Ed. Bouslama, Tunis, 1978.

116. Diego De Heedo, histoire des rois d'Alger, HD Edition grand, Alger, livres.

117. Digo de Haedo, abbe de fromesta, Histoire des rois d'Alger, tr par H-D de grammant, adolphe joudan, libraire, editeur Alger, 1881.

118. E. Carette. Origine et migrations des principales tribus de l'Algérie. Imprimerie impériale, Paris, MDCCCL III.

119. Ferraud Charles : « Les Harar seigneurs des Hanencha », R.A, Vol 18 Alger, 1978.

120. Joseph Fabre, Essaisun la régence de Tunis, Seguin frères imprimeurs, Avignon, 1881.

121. L.Charles Feraud, les corporations de mètien à Constantine avant la conquête Française, in RA, N°16, 1872.

122. Maggill M. Thomas, nouveau voyage à tunis, Paris, 1811.

123. Mahfoud Kadache, l'Algérie durant la période Ottomane, , Alger, 1991.

124. Mercil, histoire de l'Afrique septentrional 3 VOL, Paris, 1891, P56-60.

125. Mohamed El-Kairouani Ben Abi El-raini, histoire de l'Afrique, traduite de l'Arabe et résumée par MM.E.Pellissier, imprimerie royale, Paris, MDCCXLV.

126. Mouloud Gaid, l'Algérie sous les turcs, maison Tunisienne de l'Edition, société national édition et de diffussion, Alger, 1974.

127. Smida Guelouze, Mesmoudi : histoires de la Tunisie, les temps modernes, centre industriel du livre, 1ere édition, 1983, Tunis.

الملخص

موضوعنا هو عبارة عن دراسة تاريخية تتمحور حول العلاقة الرابطة بين إيالتي تونس و الجزائر خلال القرن الثامن عشر، حيث تراجحت بين سلم وحرب، أمن ومناوشات من حيث التعاون العسكري مع الدولة العثمانية وكذا الروابط الإجتماعية والثقافية التي تجسدت في الصناعات المتشابهة والمبادلات التجارية.

وقد افتتحنا البحث بمدخل تمثل في بداية الوجود العثماني في تونس والجزائر، ثم تبعه الفصل الأول الموسوم بـ: الجذور التاريخية الجزائرية والتونسية، خلال القرن الثامن عشر، أما الفصل الثاني تمثل في العلاقات العسكرية والسياسية بين الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر والفصل الثالث تحوصل في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر.

حيث ختمنا الدراسة بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات ومن خلال ما وجد في كل من المصادر و المراجع اتضح جليا أمامنا أحوال المجتمعين التونسي و الجزائري في تلك الفترة وقد تم التطرق إلى نظام الحكم الذي كان نقطة الفرق بينهما وطبيعة العلاقة بين الإيالتين خلال القرن الثامن عشر.

الكلمات المفتاحية:

العلاقات السياسية – القرن الثامن عشر – المبادلات التجارية – السلم – الحرب – الداي إيالة الجزائر – إيالة تونس – الروابط الاجتماعية.

résumé

Le thème abordé dans cette recherche est une étude historique Sur la nature de la relation entre la wilaya de la Tunisie et l'Algérie pendant le 18ème siècle. Où il s'est passée entre la guerre et la paix, la sécurité et les escarmouches militairement avec l'Empire Ottoman, en plus les liens sociaux et culturels tel quels les mêmes industries et les échanges commerciaux on a entamé cette recherche par une introduction qui parle sur le début de l'existence ottomane en Tunisie et en Algérie.

En présentant dans le 1er chapitre les racines historiques algériennes et tunisiennes pendant le 18ème siècle

Le 2ème chapitre représente les relations militaires et politiques entre les deux pays pendant le 18ème siècle

Néanmoins, le 3ème chapitre représente les relations économiques et sociales entre les deux wilayas pour conclure on a présenté une série de conclusions selon tout ce qu'on a trouvé dans les sources et les références, et il s'est avéré clairement la situation de la société tunisienne et algérienne dans cette période

Sans oublier de parler sur le système de gouvernement lequel était le point différent et la nature de la relation entre les deux pays pendant le 18ème siècle .

Les mots-clés :

Les relations politiques, Les échanges commerciaux, La paix, La guerre, Le Bey, Le Dey, Les liens sociaux.